محمد محمود

العدد الأول — صفحات من واقع التاريخ المصري — ٢٠١٩

حكايات مصرية جدًا

الأهرام — ١٠ صفحات — Al Ahram

انتحر عبد الحكيم عامر

تناول المشير عبد الحكيم عامر كمية كبيرة من مادة مخدرة سامة بعد ظهر يوم الأربعاء فأصدأ الانتحار كانت الفرقعة أول محمد فوزي والفريق عبد المنعم رياض فور نقلها إلى جبة بوعزاء لصراع أقوال التحقيقات الصادرة التي جرت أخيرًا وصل إلى حجرة نومه وأبلغ المدير العام الطبيب العام ورئيس أركان الحرب النعمة أعراض المشير ظاهرة على المشير وصحاء فورًا إلى مستشفى القوات المسلحة في العادي حيث جرى إسعافه لتوقف مفاجئ مساء أول أمس تموز بعده الوداع والتعميم الأزرق يشير إلى احتمال تناوله مادة سامة أخرى وزير العدل والنائب العام ووكيل وزارة العدل للطب الشرعي يشرفون على التحقيقات في الحادث المؤسف المؤلم

البيان الرسمي عن الحادث المؤلم

تفاصيل الوقائع التي انتهت بانتحار عبد الحكيم عامر

كلمة للأهرام

كتب البيان: محمد حسنين هيكل

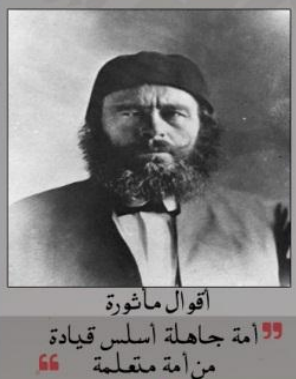

أقوال مأثورة

"أمة جاهلة أسلس قيادة من أمة متعلمة"

سعيد باشا والي مصر مبررًا إغلاق المدارس

محمد نجيب لحظة اعتقاله وعزله

قوات تحتل داخل إسرائيل

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

اشترك في تحريره نخبة من ألمع المؤرخين

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع

يسطرون
للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة
عماد سالم

المدير العام
أحمد فؤاد الهادى

مدير الإنتاج
أحمد عبد الحليم

الطبعة الأولى
الكتاب : حكايات مصرية جدًا
المؤلف : محمد محمود
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٢١٠١ / ٢٠١٨
الترقيم الدولى : 978 - 977 - 776 - 804 - 7

العنوان : المكتبة والمطبعة : ٣ ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة
التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢
Email : yastoron@gmail.com
موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله الكبير المتعال، مقلِّب القلوب مبدِّل الأحوال، والصلاة والسلام على رمز الكمال، محمدٍ كريم الشمائل والخلال، وعلى الصحب والأزواج والذرية والآل، ومن تابعهم بإحسانٍ إلى يوم المآل.

ثمَّ أمَّا بعد،

فإن هذه طائفةٌ يسيرة من الحكايات التي لا يربطها رابط، ولا يجمعها جامع، اللهم إلا أنها قد وقعت جميعًا فوق الأرض نفسها، وتحت السماء نفسها، لا يجمعها سوى أنها حكايات مصرية جدًا.

لكنك أيها القارئ اللبيب، ذو الرأي الأريب، قد تتمكن من ربط بعض الخيوط الخفيَّة، وإيجاد بعض الروابط القوية، فهذه الحكايات إن أمعنت النظر فيها، استخلصت منها ما

تخفيها، فهي إنما جُمعت للتفكُّر والتدبُّر، وشيءٍ من التفكُّه والتندُّر، مع مقارنة الماضي بالحاضر، ومطابقة الحالي بالغابر، وتمييز الخبيث من الطيب، ومعرفة ما غاب وما غُيِّب، فليس كلُّ مشهورٍ صحيحًا، وليس كلُّ مطمورٍ قبيحًا، فاظفر منها بالتعلُّم والنظر، والوقوف على الحادثة والخبر، واغتنم منها بعض العلوم والمعارف، والتقط شيئًا من المِلَح والطرائف، وانظر بعين الاعتبار والحذر، واستخلص منها المواعظ والعبر، فإنك لا تجد غدك إلا بمعرفة أمسك، فانظر، فإن وجدت خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فأمسك، فإنما لهذا جُعِل التاريخ.

المؤلف.

مقدسة أم ملعونة

شهدت ما لم تشهده أرضٌ قط، وما لم تظله سماءٌ قط، دخلها خليل الله إبراهيم زمن المجاعة التي ضربت بلاد الشام، وتزوَّد من رزقها وتزوَّج من نسائها، وأنجبت له الأميرة المصرية هاجر ابنه إسماعيل، أبا العرب، الذبيح الذي افتداه الله من الذبح، عاش يوسف على أرضها، واعتلى عرشها، كوزيرٍ مدبِّرٍ منقذٍ من سبعٍ عجاف، دخلها يعقوب والأسباط إن شاء الله آمنين، رقد يوسف تحت ترابها ستة قرون، ولد فيها هارون وموسى، وعاشا يدعوان إلى عبادة الله الواحد الأحد، لجأت إليها العائلة المقدسة؛ مريم العذراء والسيد المسيح ويوسف النجار، واحتموا بها من جور اليهود، تسرَّى محمد ﷺ بمارية المصرية، فكانت المرأة الوحيدة بعد السيدة خديجة التي كرمها الله فحملت في أحشائها ابنًا له؛ إبراهيم، آخر أبنائه، أوصى ﷺ أصحابه بأهلها خيرًا حين يفتحها الله عليهم، فإنَّ لهم ذمة ورحمًا.

دخلتها مريم العذراء وعاشت على أرضها اثنتي عشرة سنة، عاشت فيها آسيا امرأة فرعون، التي كانت أمًّا حنونًا لكليم الله موسى، وهما —مريم وآسيا– الكاملات من النساء لقوله ﷺ في صحيح البخاري: «..وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ..».

فيها كلَّم الله نبيه موسى، وبها تجلَّى، ولجلاله ﷻ خرَّ جبلها، ماؤها صار أرضًا لتكون دربًا لعباد الله، أرضها صارت ماءً ليكون مشربًا لعباد الله، سلواها تنزَّلت طوعًا لتكون مطعمًا لعباد الله، منُّها تقطَّر عسلًا ليكون حلوى لعباد الله، سحابها تجمَّع ظهرًا ليكون ظلًّا لعباد الله.

رجالها كانوا صخرةً تحطمت عليها أحلام الصليبيين في حطين، ثم في المنصورة، وتشتت عليها شمل التتار في عين جالوت وذهب ريحهم إلى الأبد.

ولكن لنكن منصفين، لا يمكننا أن نغفل أنَّ ملكها انتزع سارة من زوجها إبراهيم ظلمًا وقهرًا، ثم بعد ما عرف أنه نبي

طلب منهما الرحيل عن البلاد، عاش يوسف في ظلمات سجنها ظلمًا سنوات، حتى بعدما تبيَّنت براءته، ولم يُذكر السجن في القرآن إلا في مصر، ولم تُذكر النساء التي تراود الرجال عن أنفسهم إلا في مصر، ولا النساء اللاتي يخضن في عرض امرأة إلا في مصر، اضطهد فيها موسى، الذي فرَّ عشر سنوات من ظلم فرعون وجوره، ولـمَّا عاد إليها استمرَّ الاضطهاد، وطال أخاه هارون، على أرضها طغى فرعون، وادَّعى الألوهية لمجرد أنَّ النيل يجري من تحته، وكأنه لم يجرِ تحت ملكٍ قبله ولا بعده، وأعانه وزير الشر هامان، وثري السوء قارون، وعلى أرضها انتشرت الأوبئة، نيلها يتحوَّل دمًا، وكأنه لم ينسَ ذنب الأطفال الذكور الذين ذبَّحهم جنود فرعون وألقوهم فيه، الجراد يأكل الأخضر واليابس، الضفادع تغطي أرضها، القمَّل يقضي على الزراعة، المجاعات ونقص الثمرات تحصد الأنفس حصدًا، ولـمَّا يأتي الماء يأتي طوفانًا يغرق الأرض وما عليها!

وملكها الكامل ابن أخي صلاح الدين سلَّم بيت المقدس للصليبيين، وتنازل عنها ليحتفظ بدمياط، وينقذ ابنه نجم الدين من الأسر، ورجالها رضوا بذل الاحتلال دهورًا طويلة، بدءًا من الهكسوس والليبين والكوشيين مرورًا بالفرس واليونانيين والبطالمة والرومان والبيزنطيين وانتهاءً بالفرنسيين والإنجليز، واستحبوا حكم الأجانب قرونًا مديدة ما بين طولونيين وإخشيديين وفاطميين وأيوبيين ومماليك وعثمانيين!

أسماء ملكية ظريفة

حمل بعض حكام مصر وملوكها على مر العصور أسماءً لها معانٍ ظريفة طريفة، منها ما كان اسمًا لحيوان؛ مثل قطز، ومعناه الكلب الشرس؛ سمَّاه بذلك تجَّار الرقيق لـمَّا كان يدافعهم ولا يلين لهم، واسمه الحقيقي محمود بن ممدود، وكذلك قلاوون، وهو اسمٌ تركيٌّ معناه بطة، وقراقوش، ومعناه النسر الأسود.

ومن الأسماء الطريفة اسم الظاهر برقوق، وسبب طرافته أنَّه يُظن أنَّه اسم فاكهة، والحقيقة أن برقوق باللغة التركية معناه السهم القوي!

وبعض الملوك والحكام كانوا صغارًا في السنِّ، فلُقبوا بألقاب تتناسب وسنهم، مثل: قيصرون وكجك، الأول هو بطليموس الخامس عشر ابن كليوباترا السابعة من يوليوس قيصر، ومعنى قيصرون قيصر الصغير، أما الثاني فهو حفيد قلاوون، ومعنى لقبه كجك أي الصغير بالتركية.

ومنهم من كان اسمه رقمًا مثل السلطان قانصوه خمسمائة، وسبب تسميته بذلك أنه كان أميرًا على خمسمائة مملوك، ويبدو أن اسمه كان أطول من فترة حكمه؛ إذ حكم البلاد لثلاثة أيام فقط؛ إذ وثب على عرش الناصر محمد بن قايتباي، لكن خال الناصر محمد ساعده على الرجوع لعرشه بعد معركة في قلعة الجبل.

وكذلك اعتنى بعض الحكَّام باختيار كنية تناسب أسماءهم، مثل أبي العساكر جيش، وأبي المسك كافور، وبعضهم كان يختار اللقب والكنية التي تتوافق موسيقيًّا مع اسمه، وكأنه اسمٌ فني، كالصالح صلاح الدين صالح!

ولا يخفى أن بعض الدول كانت حريصة على اختيار أسماء حكامها، فالدولة الأيوبية كان حكامها حريصين على اتخاذ لقبٍ مركب تركيبًا إضافيًّا، يكون المضاف إليه كلمة الدين، وقد بدأت بصلاح الدين الأيوبي، واسمه الحقيقي يوسف، وهو التقليد الذي أخذه من أستاذه نور الدين محمود، وأسد الدين

شيركوه، وانتقل لبقية الأسرة الأيوبية من بعده؛ سيف الدين، ونجم الدين، وتقي الدين، ومجير الدين، حتى شجر الدر كان لقبها عصمة الدين!

وقبلها كانت الدولة الفاطمية، التي حرص كل حكامها دون استثناء على إقحام اسم الله في ألقابهم، رغم بعدهم عن الله وعن دين الله كونهم من أنصار الشيعة أعداء السنة، مثل: المعز لدين الله، والعزيز بالله، والحاكم بأمر الله، والمستنصر بالله، وغيرهم.

الموت على الطريقة الملكية

أحرق في بطن حمار: كان محمد بن أبي بكر الصديق واليًا على مصر زمن عثمان بن عفان، لكنه كان ممن خرجوا عليه، وقيل إنه كان ممن قتلوه، فأرسل معاوية بن أبي سفيان عمرو ابن العاص في طلب قتلة عثمان للقصاص منهم، فاختبأ محمد ابن أبي بكر في دارٍ عجوزٍ مصرية، فدلَّ ابنها عليه، فأُمسك، وقُتل وأُحرق في جوف حمار، وقد روى الذهبي خبره في سير أعلام النبلاء فقال: وكتب ابن حُدَيج وأصحابه إلى معاوية: ابعث إلينا أميرًا، فبعث عمرو بن العاص إليهم، فلجأ محمد ابن أبي بكر إلى عجوز، فأقرَّ عليه ابنُها، فقتلوه، وأُحْرِقَ في بطن حمار.

غريقًا حريقًا جريحًا: لـمَّا تولَّى توران شاه حكم مصر بعد أبيه نجم الدين أيوب، وقعت الوحشة بينه وبين شجر الدر من ناحية، ومماليك أبيه من ناحية أخرى، فاتفقوا على التخلص منه، فانطلقت إليه فرقة يقودها فارس الدين أقطاي الجمدار،

وركن الدين بيبرس البندقداري، وقلاوون الصالحي، فاقتحموا عليه خيمته السلطانية في فارسكور وهو يتناول إفطاره، وضربوه بالسيوف، ففرَّ إلى برجٍ خشبي، فأحرقوه وهو فيه، فقفز في النيل، فضربوه بسهامهم ونبالهم، ولم يكتفوا بذلك، يقول ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: فقطّعوه قطعًا، وبقى على جانب البحر ثلاثة أيّام منتفخًا، لا يجسر أحد أن يدفنه.

الموقوذة المتردية: بعد تخلُّصها من زوجها عز الدين أيبك، ظنَّت شجر الدر أن الأمور ستستقيم لها في حكم البلاد، لكنها كانت واهمة؛ إذ رفض المماليك تصديق ما أعلنته بخصوص وفاة أيبك وفاة طبيعية؛ لأن الجميع يعلم حجم الجفوة التي كانت بينهما، حتى إنها قد راسلت الملك الناصر صاحب دمشق تعرض عليه الزواج منها إذا هو ساعدها في قتل أيبك، ولذلك طلب المماليك بزعامة قطز أن يروا جثمان الملك، كما أمسكوا بالخدم والعبيد، الذين اعترفوا بقتلهم لأيبك بتحريض من شجر الدر.

قُبض على السلطانة القاتلة وقرر الملك الجديد: المنصور علي بن أيبك أن تُحال أوراق القضية إلى أمه، التي حكمت ونفذت الحكم؛ إذ دخلت وصاحباتها وجواريها على شجر الدر وضربنها بالقباقيب، ثم ألقين بها من فوق سور القلعة، ولم تُدفن إلا بعد أيام، وكأنها قد اجتمع عليها جزاء ما فعلت بتوران شاه، وأيبك من بعده!

حاكمًا رغمًا عنه

قايتباي: بعد انقلاب العسكر على الظاهر تمربُغا، توجهت الأنظار إلى الأتابك قايتباي ليتم تنصيبه سلطانًا على مصر، لكنه رفض رفضًا شديدًا، بل وبكى من شدة بغضه للسلطنة، يقول ابن إياس في بدائع الزهور: لما أرادوا ان يفيضوا عليه شعار الملك، تمنَّع من ذلك وبكى، فألبسوه الشعار غصبًا وهو يتمنع أشد الامتناع.

وكان وقتها في الخامسة والخمسين من عمره، واستقر فوق عرش مصر ما يزيد عن ثمانية وعشرين عامًا!

قانصوه الغوري: وكأنها إعادة لقصة قايتباي، فبعد خلع العادل طومان باي، وهو غير الأشرف طومان باي الشهير بالمناسبة، اصطلح الأمراء على تعيين قانصوه الغوري حكم البلاد، يقول ابن إياس إنهم سحبوه وأجلسوه وهو يتمنع من ذلك ويبكي، وروي أن الأمراء إنما اختاروه لأنه قد أدرك الستين، وأنه لا رغبة له في السلطنة، وبذلك يسهل عليهم

خلعه إن أرادوا، بينما كان هو يبكي خوفًا أن يقتلوه إن أرادوا خلعه، وقد أخذ عليهم المواثيق ألا يفعلوا!

ثم إنَّه بعدما ثبَّت نفسه على العرش، تخلَّص من الأمراء أصحاب النفوذ، وأحكم قبضته على مقاليد الحكم!

مأدبة بنكهة الدم

نيت إقرت: وهي آخر ملكات الأسرة السادسة، تغزَّل مانيتون السمنودي في جمالها في قوائمه، وتابعه في ذلك هيرودوت في تاريخه، وقد ذكر عنها قصة مثيرة إذ قال: أخبروني بأنها ورثت العرش بعد مقتل أخيها على يد رعاياه، و هم الذين نصَّبوها على العرش، و لما تولَّت عرشها ظلت تدبر الخطط للانتقام لمقتله، فتفتق ذهنها عن خطة ماكرة انتهت بقتل أعداد غفيرة من المصريين؛ إذ انتهزت مناسبة إنشاء مبنى كبير تحت الأرض فدعت إلى مأدبة احتفالًا بالحدث، و كان ضيوفها من تأكد لديها ضلوعهم في مقتل أخيها، و لما جلس هؤلاء إلى المائدة و انشغلوا بالطعام أعطت للخدم إشارة، ففتحوا بوابة تدفقت منها مياه النهر فغمرت المكان فأخذ الضيوف بالمفاجأة و ماتوا غرقًا.

محمد علي: في الأول من مارس 1811م دعا محمد علي باشا كبار المماليك وكانوا يتجاوزون الخمسمائة إلى قلعة

الجبل؛ ليشاركوه الاحتفال بتنصيب ابنه طوسون باشا على رأس حملة لمحاربة الوهابيين، وقد عدَّ المماليك تلك الدعوة علامة رضا من الباشا.

انتهى الحفل سريعًا، وبدأ الموكب في التحرك نزولًا إلى باب العزب، وأخذوا في التقدُّم في نظامٍ دقيق؛ مجموعة من خيرة الفرسان في المقدمة، يتبعهم والي الشرطة، والأغا (محافظ المدينة)، والمحتسب، ثم الوجاقلية (فرقة عسكرية عثمانية)، ثم يتبعهم كوكبة من الجنود الأرناؤوط (من دولة ألبانيا)، ثم أمراء المماليك، ثم بقية الجنود الأرناؤوط، وعلى هذا النظام كان الركب يتقدَّم حتى بلغوا باب العزب، فتخطته الطليعة حتى عبر الوجاقلية، فأغلق الباب فجأة، وحصر المماليك بين الجنود الأرناؤوط، الذين فهموا إشارة غلق الباب، فأسرعوا بتسلق الصخور المحيطة، وما هي إلا هنيهة حتى أفرغوا طلقات بنادقهم في أجساد المماليك الذين لم ينجُ منهم أحد، إلا أمين بك الذي كان في آخر الصفوف، فقفز بجواده سور القلعة

البالغ ستين مترًا، ولما اقترب من الأرض قفز مترجِّلًا تاركًا جواده يلاقى حتفه.

يصف الجبرتي المشهد في تاريخه: ولم يرحموا أحدًا، وأظهروا كامن حقدهم، وضبعوا فيهم، وفيمن رافقهم متجمِّلًا معهم من أولاد الناس وأهالي البلد الذين تزيُّوا بزيِّهم لزينة الموكب، وهم يصرخون ويستغيثون ومنهم من يقول: أنا لست جنديًّا، ولا مملوكًا، وآخر يقول: أنا لست من قبيلتهم، فلم يرقُّوا لصارخٍ ولا شاكٍ ولا مستغيث، وتتبعوا المتشتتين والهربانين في نواحي القلعة وزواياها والذين فروا ودخلوا في البيوت والأماكن.

وما أدراك ما الحب

غرام في الكرنك: لم يكن سننموت بأي حالٍ من الأحوال مجرد مهندس يقوم بالإشراف على الأعمال الإنشائية للملكة الحسناء حتشبسوت، فقد أنعمت عليه بثمانية وثمانين لقبًا طبقًا لعالم الآثار دورمان، كما عهدت إليه بتربية ابنتها نفرو رع، والذي ذهب بعض المؤرخين أنه قد يكون أبوها.

لكنَّ هذا كله ليس كافيًا لإثبات علاقة حبٍّ بين الملكة الشابة ومهندسها المخلص، غير أنها سمحت له أن يبني مقبرته في حرم معبدها ليكون قريبًا منها في الحياة الأخرى كما كان في الحياة الدنيا، مما دفعه ليحفر نفقًا يصل مقبرته بمقبرتها ليسهل عليهما التواصل في الحياة الأخرى!

في سبيل العرش: لم تكن كليوباترا السابعة تهب قلبها ولا جسدها إلا لمن تراه يستطيع تحقيق حلمها الكبير بالجلوس على عرش مصر، لمَّا انفرد أخوها الصغير بطليموس السابع عشر بالحكم، وطرد أخته وزوجته كليوباترا، انتظرت زيارة

يوليوس قيصر لمصر، وأسرعت تأمر أحد خدمها أن يلفها في بساط، ويحمله على كتفه، ويذهب به إلى قيصر، وتتولَّى هي الأمور بعد ذلك، ولم يكن الأمر صعبًا على الفاتنة صاحبة الاثنين والعشرين عامًا، فأسفر ذلك اللقاء عن تأييد قيصر لها، ومحاربته لأخيها، وتنصيبها على عرش مصر، والزواج منها، فأنجبت له ابنها قيصرون، وهو ما كانت تأمل أن يكون إمبراطورًا على إمبراطورية عظيمة تضم مصر وروما.

ولمَّا قُتل قيصر في روما وبدأ حلم الإمبراطورية ينهار، كان لزامًا على كليوباترا أن تجد لنفسها خيارًا آخر، خيارًا يضمن لها البقاء على عرش مصر، وكان الصراع قد اشتعل في روما بين أنطونيوس وأوكتافيوس، فاختارت كليوباترا جانب أنطونيوس، وتحدد موعدٌ بينهما في طرطوس (في سوريا)، ولم تفوِّت الأرملة الشابة فرصتها لإحياء حلمها القديم، فتزيَّنت بأجمل الحلي التي صيغت لهذا الحدث خصيصًا، واصطحبت معها أمهر الطهاة ومقدمي الشراب، وأجمل الغلمان والفتيات

ليقوموا على خدمتها، كما لم تنسَ الأواني الفاخرة والستائر الزاهية كي تبهر عيني أنطونيوس.

ولم يكن صعبًا على صاحبة التسعة والعشرين عامًا أن تفتن أنطونيوس الذي نسي زوجته أوكتافيا أخت أوكتافيوس، ونسي حلم الانفراد بحكم الإمبراطورية الرومانية وسقط في حب الساحرة المصرية وتابعها إلى الإسكندرية راضيًا بالشطر الشرقي للإمبراطورية الرومانية، ذلك الشطر الذي تقع فيه مصر وملكتها الحسناء، التي أنجبت له توأمًا؛ إسكندر هليوس؛ أي الشمس، وكليوباترا سيلين؛ أي القمر.

ولـمَّا احتدم الأمر بين أنطونيوس وأكتافيوس سخَّرت كليوباترا سفنها الحربية في خدمة أنطونيوس؛ لتكون عونًا له على غريمه في معركة أكتيوم البحرية، لكنها وبمجرد أن رأت أن سير المعركة يسير في غير صالح أنطونيوس، انسحبت وأسطولها تاركةً أسطول أنطونيوس –أو ما تبقى منه– فريسة سهلة المنال لأوكتافيوس.

حتى انتحارها لم يكن وفاءً لذكرى حبيبها، ولا بغضًا في الحياة من دونه، فلم يكن لها حبيبٌ غير العرش، فلما وجدته يضيع من بين أيديها، ووجدت نفسها ستقع أسيرة في يد عدوها أكتافيوس، فضلت أن تموت ملكة على أن تعيش أسيرة، دلَّ على ذلك الهيئة التي ماتت عليها؛ إذ ارتدت ملابسها الملكية ووضعت التاج على رأسها قبل أن تأكل التين المسموم الذي أودى بحياتها.

الإمبراطورة العاشقة: في قصر تويلري، جلس الأمير الشاب إسماعيل، الذي أرسله جده محمد على باشا للتعلم في فرنسا، كان مدعوًّا على الغداء، فالتقت عيناه بالفاتنة أوجيني، كانت تكبره بأربعة أعوام، لكنها كانت مفعمة بالجمال والإغراء، فسحرت لبُّه، ولم تغادر خياله أبدًا.

مرَّت الأعوام وأصبح الأمير الشاب خديوي، وارتقى عرش مصر، وأصبحت الفاتنة الفرنسية إمبراطورة فرنسا، وزوجة الإمبراطور نابليون الثالث.

رغم مرور السنون، ورغم تعدد زوجاته ومحظياته اللاتي بلغن خمس عشرة زوجة ومستولدة، إلا أنَّ الإمبراطورة الفاتنة لازالت تحظى بقلب الخديوي العاشق، حتى حلَّ عام 1869م، حين واتته الفرصة أن يستعيد الذكرى السعيدة، فدعا الخديوي إسماعيل الإمبراطور الفرنسي وزوجته لحضور حفل افتتاح قناة السويس، فاعتذر الإمبراطور لانشغاله بأمور سياسية في بلاده، وأناب عنه زوجته الجميلة.

كانت في الثالثة والأربعين، لكنها كانت لاتزال جميلة جذابة، صاحبة شخصية آسرة، بالغ الخديوي إسماعيل في الاحتفاء بها، حضرت إلى مصر قبل أسابيع من موعد الحفل فاستضافها إسماعيل في قصر الجزيرة، يقول إلياس الأيوبي في كتابه: تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا: وسافر إسماعيل معها بشخصه، متطوعًا في خدمة جلالها الجميل، وجمالها الجليل، فحفَّها بصنوفٍ من الأبهة والفخفخة، ونثر تحت قدميها الملكيتين من أنواع الترف والملاذ، ما لم يقع في

خلد ذات كليوباترا في أبهى أحلامها الذهبية، وليالي حياتها العديمة المثيل!

وعن لحظة حضورها للحفل يروي إلياس الأيوبي: وإذا بالنسر (الإجل)[1] يتقدَّم متبخترًا مدلًّا، وعلى مقدمته الإمبراطورة كأنها –بالرغم من سني عمرها الثلاث والأربعين– إلهة الجمال والجلال، أو كأنها وهي في وسط وصيفاتها، وعزف الموسيقى يحف بها، ويتماوج في الهواء، كليوباترا العهد القديم.

أمَّا عن الحفل نفسه فكان غاية في البذخ، بدءًا بصنوف الطعام والشراب والخمور، وانتهاءً بالمرقص الذي أقامه الخديوي إسماعيل ليراقص فيه الإمبراطورة أوجيني، التي أبدت غاية السعادة بهذا الحفل إذ قالت: لم أرَ في حياتي أجمل ولا أروع من هذا الحفل الشرقي العظيم.

انقضى الحفل، وانقضت بعده سنوات، ثار فيها الفرنسيون على نابليون الثالث وأوجيني، ففرت إلى إنجلترا، وعُزل الخديوي

[1] اسم الباخرة التي حملت الإمبراطورة.

إسماعيل، وترك مصر إلى الأستانة، حتى توفي في إسطنبول، لكن الإمبراطورة ظلت وفيَّة لذكراه، ذكرت جاويدان هانم (زوجة الخديوي عباس حلمي الثاني): أثناء حكم الخديوي عباس حلمي الثاني، بعد موت الخديوي إسماعيل، والخديوي توفيق كان هناك امرأة كهلة موشحة بالسواد تزور مصر سنويًّا وتبدأ مقامها في القاهرة بزياره أرامل إسماعيل، هذه المرأة الكهله كانت أوجيني إمبراطوره فرنسا السابقة.

مؤامرة الحريم

رمسيس الثالث: في طيبة، وقبل اثنين وثلاثين قرنًا أو يزيد، وتحديدًا 1167ق.م، كانت الملكة تي تدبِّرُ وابنها بنتاؤر لقتل زوجها الملك رمسيس الثالث، وكانت قد أعدَّت خطة مُحكمة، حيث استطاعت أن تضمَّ إلى صفوفها بيبكا كامن رئيس القصر الملكي، وبنجو رئيس حاشية الملك، و مسد سورع ساقي الملك، وبعض صغار الموظفين، ثم انضمَّ بعد ذلك ستة من زوجات الضباط، واللاتي سهَّلن الاتصالات بين الملكة وبقية أطراف المؤامرة.

وتمت المؤامرة، لكنَّ الملك لم يمت، إنما جُرح جرحًا خطيرًا، فألقى القبض على المتآمرين، وقرر محاكمتهم، إلا أنَّ القدر لم يمهله، يقول برستيد[1] في كتابه فجر الضمير: إنه بالرغم من أن رمسيس الثالث قد أمر بالمحاكمة، فإنه كان قد جرح جرحًا خطيرًا ومات قبل أن يقدم المجرمون للمحاكمة.

[1] - المؤرخ وعالم الآثار هنري برستيد، وهو مترجم البردية التي كشفت المؤامرة.

عز الدين أيبك: بحلول عام 1257م كانت العلاقة بين الملك المعز عز الدين أيبك وزوجته شجر الدر قد ساءت إلى درجة لا يمكن تخيلها، إذ قرر أيبك أن يتزوَّج ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل، وراسلت هي الملك الناصر صاحب دمشق تعرض عليه أن تتزوجه وتملكه مصر إذا ساعدها في قتل أيبك، وكان حينها قد انقطع عنها؛ إذ كان يبيت مع زوجته الأولى أم علي حتى إذا أصبح الصباح صعد إلى قلعة الجبل لمباشرة شئون الملك.

فلما نما إلى علم أيبك ما تتآمر به شجر الدر، عزم على إنزالها من قلعة الجبل إلى دار الوزارة، فلمَّا بلغها ذلك، أرسلت إليه من يحلف له أنها ندمت غاية الندم، وتريد أن تفتح معه صفحة جديدة، وتشتاق إلى مصالحته، فرقَّ لها حتى بكى، وغلبه الحنين إلى سالف عهده معها، فذهب، فكان ما كان؛ إذ اجتمع عليه الخدم والعبيد في الحمام حتى أودوا بحياته، وأشيع بعدها أنه مات فجأة، يقول ابن تغري بردي في كتابه

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: أراد أن يتزوّج ببنت الملك الرحيم صاحب الموصل، وكانت شجرة الدرّ شديدة الغيرة، فعملت عليه وقتلته فى الحمّام، وأعانها على ذلك جماعة من الخدّام.

تزوير بأوامر رسمية

الملك الذهبي: توت عنخ آمون بن إخناتون، الذي تولَّى حكم مصر بعد وفاة أخيه سمنخ كا رع، ويُعدُّ الملك توت أشهر ملوك مصر القديمة على الإطلاق؛ ليس لشيءٍ غير كنوزه وحليه ومجوهراته، التي أثبت الفحص الدقيق لها أن أغلبها لم تكن له، يقول المؤرخ سليم حسن في كتابه موسوعة مصر القديمة: وقد ظلَّ كثيرٌ من الحقائق التاريخية التي تتعلق بسمنخ كا رع وتوت عنخ آمون غامضًا، إلى أن كُشفت مقبرة الأخير، وفُحصت كنوزها فحصًا علميًّا دقيقًا، فاتضح أن كثيرًا من الحلي والجواهر التي وجدت مع توت عنخ آمون كانت في الأصل قد صُنعت للملك سمنخ كا رع، وُحلِّيَت باسمه، ثم نرى أثر التغيير باديًا عليها، فمُحي اسم سمنخ كا رع ونُقش مكانه اسم توت عنخ آمون!

ومؤخرًا قال الأثرى مدحت عبد الله رئيس ترميم معمل الأخشاب بالمتحف المصرى الكبير إنه تم العثور على صندوق

من الخشب داخل مقبرة الملك الذهبي توت عنخ آمون، وقت اكتشاف المقبرة عام 1922، وتم تخزينه بالأقصر، ولـمَّا تمَّ نقله إلى معمل الأخشاب بالمتحف المصري الكبير؛ ليتم فحصه فحصًا علميًّا دقيقًا تبيَّن وجود خرطوش على الصندوق يحمل اسم الملك إخناتون، وهذا يعنى أن الملك توت عنخ آمون أعاد استخدام الصندوق مرة أخرى وهو الأثاث الجنائزي لأبيه!

ولأنَّ الجزاء دائمًا ما يكون من جنس العمل، فقد تعرض توت عنخ آمون للسطو ممن خلفه على العرش، فقد ذكر سليم حسن في موسوعته: مصر القديمة، أن الملك توت كان قد أمر بقطع بعض التماثيل الضخمة له، فاستولى عليها بعد ذلك آي حينما خلفه على العرش، ثم استولى عليها من بعده حور محب حينما خلف آي!

أمير الشعراء: وُلد شوقي عام 1971م من أب ذي أصول كردية وأم ذات أصول تركية، وتكفَّلت جدته بتربيته، وكانت

وصيفة في القصر الملكي، فدرج شوقي بين الأمراء، وتربَّى تربية الكبراء، وعاشر صنوف الوجهاء، حتى شبَّ عن الطوق، والتحق بمدرسة الحقوق 1885م في سنٍّ مبكرة للغاية، ولـمَّا أراد السفر إلى فرنسا للدراسة في جامعة مونبلييه قرر الخديوي توفيق أن يكون ذلك على نفقته، وقد ذهبت بعض الروايات إلى أن الجامعة رفضت أحمد شوقي لأنها لا تقبل من هم دون الثامنة عشرة، فأمر الخديوي توفيق بإصدار شهادة ميلاد جديدة لأحمد شوقي تثبت أنه وُلد عام 1868 بدلًا من 1871، وبذلك يسمح سنه بالقبول في الجامعة!

ولم ينسَ أحمد شوقي ذلك؛ فقد أطال مدح القصر ومن فيه، فإن كان مركزه الأدبي يؤهله ليكون أمير الشعراء، فإن مركزه السياسي يؤهله وبجدارة ليكون شاعر الأمراء!

ولم يكتفِ شوقي بذلك، بل إنه راح يرد الجميل للخديوي بهجاء المعارضين هجاءً لاذعًا، فكتب قصيدتين يهجو فيهما عرابي ويهاجمه بقسوة، قال في مطلع إحداهما:

صَغَارٌ[1] في الذهابِ وفي الإيابِ .. أهذا كلُّ شأنِكَ يا عُرابي؟

حتى إنه تأخر كثيرًا في رثاء صديقه مصطفى كامل؛ لكيلا يُغضب الخديوي!

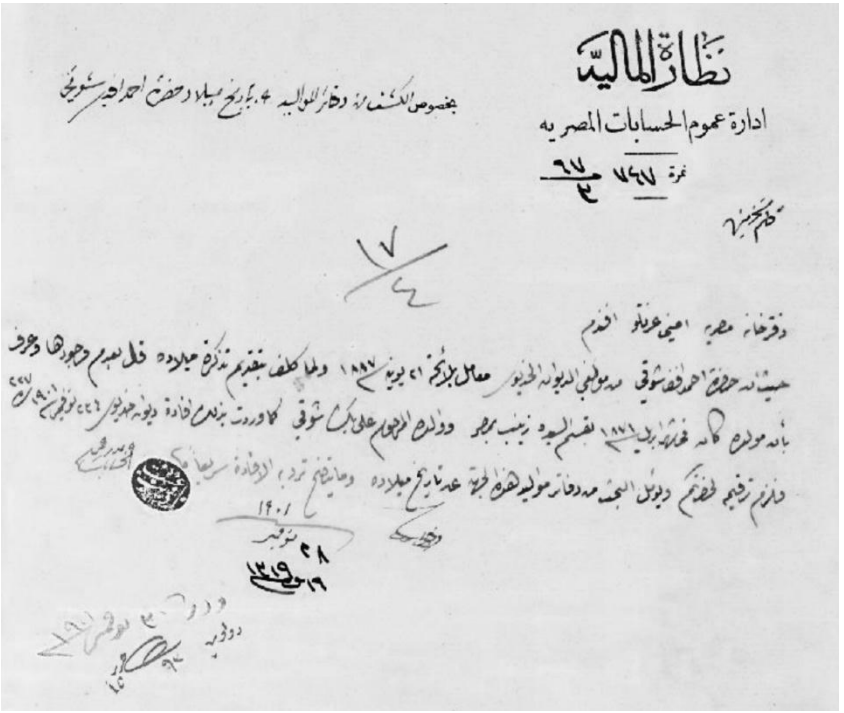
نظارة المالية
ادارة عموم الحسابات المصريه
نمرة ٦٧٦٧
بخصوص الكشف عن دفاتر المواليد بتاريخ ميلاد حضرة احمد بك شوقي
دفترخانه مصريه امين عربتو افندم
حيث انه حضرة احمد بك شوقي مدرس مولدي الديوانه الخديو معامل بتاريخ ٢١ يونيه ١٨٨٧ ولما كلف بتقديم تذكرة ميلاده فلم يعثر وجودها وحرر
بانه مولود في غرة فبراير ١٨٦٨ بقسم السيده زينب بمصر ووالده المرحوم علي بك شوقي كما ورد بذلك افادة ديوانه الموقعة في ٢٢ نوفمبر ١٩٠١ نمرة ٢٤٧
وارسل رفيعكم لمطلعكم ديوان الحقانيه مدرسة مولدي بشهادة الحالة عند بتاريخ ميلاده وما يتبع ترد الافادة رسميا
١٩٠١
٢٨ نوفمبر
٣٥٩٦
دوقويه

[1] - الصَغَار هو الذل والهوان.

الملك الرياضي

كان أمنحتب الثاني منذ صغره شغوفًا بالرياضة، وقد دلَّت مومياؤه على أنه كان قويًّا مفتول العضلات، وكان له مدربٌ قويٌّ يُدعى مين، كان مين عمدة طيبة، وشارك تحتمس الثالث في حروبه.

وقد كان أمنحتب مولعًا بالفروسية والرماية، لكن الأخيرة كانت لها المكانة الأكبر، وتصوِّر بعض النقوش مدربه مين وهو يوجهه لاتخاذ الوضعية الصحيحة أثناء التصويب، كما أنَّ له أكثر من نقشٍ يظهر فيه وهو يصوب سهامه لتخترق الأهداف الموضوعة له سلفًا، منها نقشٌ يظهر فيه أمنحتب وقد أصاب الهدف نفسه أكثر من أربع عشرة مرة متتالية!

أشقاء ولكن

كليوباترا: لـمَّا مـات بطليمـوس الثـاني عشـر 51ق.م، أوصى أن تتشارك كليوباترا ذات الثمانية عشر عامًا الحكم مع أخيها بطليموس الثالث عشر ذي العشرة أعوام، وطالب روما بحماية عرشهما، قائلًا ما نصه: إنني أستودع باحترامٍ هذين الاثنين في حماية الشعب الروماني النبيل.

تزوجت كليوباترا من أخيها الصغير كما جرت العادة وتشاركا الحكم، غير أنه وبتحريض من حاشيته كان يصطنع من ينشر الشائعات في الإسكندرية بما يملأ القلوب بكراهية كليوباترا، وبالفعل ثارت عليها الجماهير فلم تجد سبيلًا غير الهرب من الإسكندرية، واستعانت بالبدو لتكوين جيشٍ يدعمها في مواجهة أخيها.

نجحت كليوباترا بعد ذلك في الوصول إلى بيلوزيوم (بورسعيد حاليًا)، ويلتقي الجيشان؛ جيشها وجيش أخيها، لكن روما تدخَّلت، فلم تقع المعركة.

والواقع في روما كان أشد مرارة منه في مصر؛ إذ تنازع أعضاء الحكومية الثلاثية يوليوس قيصر وبومبي وماركوس كراكوس، فمات الأخير وفر بومبي إلى مصر، تاركًا زمام السيطرة ليوليوس قيصر، فلمَّا رأى مستشارو بطليموس الغلبة في روما لقيصر، أوعزوا لبطليموس ألا يساند بومبي حتى لا يخسر قيصر، بل وحرضوه على قتل بومبي تقرُّبًا لقيصر، لكن ذلك لم يكن؛ إذ إن قيصر رغم خلافاته مع بومبي كان يقدِّره باعتباره جنديًّا رومانيًّا مخلصًا.

فاستغلت كليوباترا استياء يوليوس قيصر من بطليموس ومن حوله، وطلبت دعمه في العودة إلى العرش، فتحالفا معًا وأحرق قيصر أسطول بطليموس المكون من اثنتين وسبعين سفينة حربية، وفي نهاية الأمر مات بطليموس الثالث عشر، ونُفيت أختها أرسينوي الرابعة إلى أفسس (بتركيا حاليًا)، وتشاركت كليوباترا العرش مع أخيها الطفل بطلميوس الرابع عشر، وكان حينها في الثانية عشرة من عمره.

ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى مات بطليموس الرابع عشر مسمومًا، ويرجِّح بعض المؤرخين أن كليوباترا هي من قامت بالتخلص منه.

أحمد فتحي زغلول: شقيق سعد باشا زغلول، لكن العلاقة بينهما لم تكن على ما يرام، رغم أنَّ كليهما كان صديقًا مقربًا للمندوب السامي البريطاني اللورد كرومر!

وكان أحمد فتحي زغلول يجتهد في إرضاء الإنجليز ليترقى سريعًا (وهذه قصة أخرى)، وبالفعل نجح في الوصول لمنصب رئيس محكمة مصر، لكن بقيت علاقته بأخيه سعد متوترة، بسبب عوامل الغيرة والتنافس بينهما، حتى إنه يرى أنَّ اللورد كرومر كان يريد تعيينه ناظرًا للحقانية (وزير العدل)، لكنَّ أخاه سعدًا تدخَّل وأوعز للورد كرومر ألا يفعل، ربما لأنه يريد أن يستأثر بالمنصب لنفسه، وهو ما كان إذ تم اختياره كناظرٍ للمعارف (وزير التعليم) 1906م، ثم ناظر للحقانية 1910م.

أصدقاء اللورد

سعد زغلول: ذكرنا آنفًا أن ثمة علاقة قوية كانت تربط سعد زغلول باللورد كرومر، وقد كشفت مذكرات سعد باشا عن جانبٍ كبيرٍ من مظاهر تلك الصداقة، يقول سعد زغلول في مذكراته عن اللورد كرومر: "كان يجلس معي الساعة والساعتين، ويحدثني في مسائل شتى؛ كي أُنوَّر منها في حياتي السياسية". ولك أن تتخيل ما يمكن أن يتعلمه زعيم الأمة من عدوِّها اللدود!

ويقول في موضعٍ آخر من مذكراته لـمَّا بلغه نبأ إعفاء اللورد كرومر من منصبه: "أمَّا أنا فكنت كمن تقع ضربة شديدة على رأسه، أو كمن وخز بآلة حادة فلم يشعر بألمها لشدة هولها". يبدي صادق حزنه بانتصار الإرداة الشعبية على المحتل الذي استباح دماء بني وطنه!

ومن جهته يُعرب اللورد كرومر عن إعجابه بشخصية سعد باشا فيقول في تقريره السنوي عن تعيين سعد ناظرًا للمعارف:

"لم يكن السبب الرئيس في تعيينه كما يظن أحيانًا أنه استياءٌ من الحالة التي كانت تسير عليها مصلحة المعارف العمومية، فلازالت قاصرة في أن توفِّر أية بادرة لتغيير جذري في السياسة التعليمية، إنه يرجع أساسًا إلى الرغبة في ضم رجل قادر ومصري مستنير من تلك الطائفة الخاصة من المجتمع المعنية بالإصلاح في مصر".

وقال كرومر: كما أن سعد من تلاميذ محمد عبده وأتباعه الذين أُطلق عليهم "جيروند" الحركة الوطنية المصرية، والذي كان برنامجهم تشجيع التعاون مع الأجانب لإدخال الحضارة الغربية إلى مصر، الأمل الذى جعل كرومر يحصر فيهم أمله الوحيد في قيام الوطنية المصرية.

ويتواصل المديح بينهما، فيقول سعد باشا في مذكراته عقب إعفاء اللورد كرومر: "إن صفاته قد اتفق الكل على كمالها". وكان سعد من أشد الداعين إلى إقامة حفل وداع للورد قبل رحيله عن مصر.

أحمد فتحي زغلول: رغم العلاقة المتوترة بينه وبين أخيه سعد باشا، والتي أشرنا إليها سابقًا، إلا أنهم كان لهم صديقٌ مشترك، وهو اللورد كرومر، وكانت أواصر الصداقة قوية بينه وبين فتحي، بالمناسبة، اسمه الحقيقي فتح الله، نُحت إلى فتحي، لكنه لما فُصل من عمله بعد الثورة العرابية غيَّر اسمه إلى أحمد فتحي!

انضم فتحي إلى سلك القضاء، وأصبح رئيسًا لمحكمة مصر، وشارك في أشهر قضية مصرية على الإطلاق في القرن الماضي؛ قضية دنشواي.

ودنشواي هي بلدة في الريف المصري، شهدت عام 1906م خروج بعض الضباط الإنجليز لاصطياد الحمام، فأصابت إحدى رصاصاتهم أجران الغلال فاحترقت، وطاشت رصاصة أخرى فأصابت الفلاحة المصرية أم صابر، فخرج أهل القرية مذعورين، ففر الإنجليز خائفين، حتى سقط أحدهم بعدما أصابته ضربة شمس.

قامت الدنيا ولم تقعد لموت هذا الإنجليزي، وتشكلت محكمة صوريَّة، يرأسها القائم بمهام ناظر الحقانية بطرس غالي[1]، وشارك فيها قضاة إنجليز إلى جانب قاضٍ مصري واحد فقط، هو الذي كتب صيغة الحكم، وفي صباح الأربعاء 27 يونيو انعقدت المحكمة وتلا سكرتير الجلسة الحكم، وهو يقضي على كل من:

أولا: حسن علي محفوظ، ويوسف حسن سليم، والسيد عيسى سليم، ومحمد درويش زهران، بالإعدام شنقًا في قرية دنشواي.

ثانيًا: محمد عبد النبي مؤذن القرية، وأحمد عبد العال محفوظ، بالأشغال الشاقة المؤبدة.

ثالثًا: أحمد محمد السيسي بالأشغال الشاقة خمس عشرة سنة.

---

[1] - والد بطرس يوسف بطرس غالي، السكرتير العام للأمم المتحدة 1992: 1996، وهو الوحيد الذي لم ينتخب لفترة ثانية، بعدما استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو لمنعه من الترشح لمدة ثانية، وهو وجد يوسف رءوف يوسف بطرس غالي وزير المالية 2004: 2011.

رابعًا: محمد علي أبو سمك، وعبده البقلي، وعلي علي شعلان، ومحمد مصطفى محفوظ، ورسلان السيد علي، والعيسوي محمد محفوظ، بالأشغال الشاقة سبع سنين.

خامسًا: حسن إسماعيل السيسي، وإبراهيم حسنين السيسي، ومحمد الغباشي السيد علي، بالحبس مع الشغل سنة واحدة، وبجلد كل واحد منهم خمسين جلدة، وأن ينفذ الجلد أولًا بقرية دنشواي.

سادسًا: السيد العوفي، وعزب عمر محفوظ، والسيد سليمان خير الله، وعبد الهادي حسن شاهين، ومحمد أحمد السيسي، بجلد كل واحد خمسين جلدة بقرية دنشواي، مع تكليف مدير المنوفية بتنفيذ الحكم فورًا.

فيكون مجموع من حكم عليهم واحدًا وعشرين متهمًا؛ حكم بالإعدام على أربعة منهم، وحكم بالأشغال الشاقة على اثنين، وبها لمدة خمس عشرة سنة على واحد، وبالسجن سبع سنوات على ستة، وبالحبس مع الشغل مدة سنة مع

الجلد خمسين جلدة على ثلاثة، وبالجلد خمسين جلدة على خمسة.

أمَّا القاضي المصري الذي كتب هذا الحكم فكان اسمه: أحمد فتحي زغلول!

ندم حيث لا ينفع الندم

جلاد دنشواي: هو إبراهيم الهلباوي باشا، أول نقيب للمحامين في مصر، كان مدعي النيابة في حادثة دنشواي، لكنه بدلًا من الدفاع عن أبناء وطنه الذين وكلته النيابة للدفاع عنهم، إذا به يقرر متطوعًا أن يدافع عن الإنجليز!

وقف الهلباوي باشا في ساحة المحكمة ينعق مدافعًا عن الضباط الإنجليز المساكين الضحايا، الذين جاءوا ليعلموا المصريين المدنية والحضارة، وقف يقول وقد انتفخت أوداجه: "إنَّ الاحتلال البريطاني لمصر حرَّر المواطن المصري، وجعله يترقَّى ويعرف مبادئ حقوقه المدنية والسياسية، وإنَّ هؤلاء الضباط الإنجليز كانوا يصطادون الحمام في دنشواي، ليس طمعًا في لحم أو دجاج، ولو فعل الجيش الإنجليزي ذلك لكنت خجلًا من أن أقف أدافع عنهم"!

ثم ينتقل الهلباوي باشا إلى وصف الفلاحين، هؤلاء الأنذال القتلة السفاحين، فيقول: "هؤلاء السفلة وأدنياء

النفوس من أهالي دنشواي قابلوا الأخلاق الكريمة للضباط الإنجليز بالعصي والنبابيت وأساءوا ظن المحتلين بالمصريين بعد أن مضى على الإنجليز 25 عامًا ونحن معهم بكل إخلاص واستقامة"!

بعد المحاكمة كره المصريون الهلباوي وأطلقوا عليه جلاد دنشواي، وأطلقوا عليه بيته وابلًا من الحجارة، ووابلًا من الهتاف والسباب، ولم تكن هذه الكراهية من نصيب الهلباوي وحده، وإنما كانت لكل من اشترك في وصمة دنشواي، وعلى رأسهم أحمد فتحي زغلول، وبطرس غالي، الذي قتله الشاب الصيدلي إبراهيم الورداني، فأراد إبراهيم الهلباوي الذي أدركه الندم أن يكفِّر عن خطيئته، فقرر أن يدافع عن قاتل شريكه في جريمة دنشواي!

وقد ذكر الهلباوي جانبًا من تلك المرافعة في مذكراته، وقد جاء فيها: المصريون كلهم كرهوا محاكمة دنشواي، واحتقروا كل من شارك فيها ودافع عن المحتلين الإنكليز، ولست هنا في

مقام التوجع ولا الدفاع عن نفسي، ومع ذلك أستطيع أن أؤكد أن الشعب المصري يحتقر كل من يدافع عن المحتلين أو يأخذ صفهم أو يبرر جرائمهم، وأؤكد أيضًا أن مواطنينا لم يقدِّروا الظروف التي دفعتني أنا وغيري إلى ذلك، لهذا جئت للدفاع عن الورداني الذى قتل القاضي الذى حكم على أهالي دنشواي بالإعدام، جئت نادمًا أستغفر مواطنينا عمَّا وقعت فيه من أخطاء شنيعة، اللَّهمَّ إنى أستغفرك وأستغفر مواطنينا.

محرر المرأة: هو قاسم محمد أمين، رائد حركة تحرير المرأة، قضى في فرنسا أربع سنوات، عاد بعدها إلى مصر مشبَّعًا بالأفكار الفرنسية، فراح ينادي بحرية خروج المرأة، ووقفها في كل الميادين مع الرجل كتفٍ بكتف.

وكان قاسم أمين يتلقَّى دعمًا كبيرًا من أقرب أصدقائه وأشد مؤيديه سعد باشا زغلول، وزوجته صفية زغلول، التي تزعَّمت هي وصديقتها هدى شعراوي الحركات النسائية الداعمة لتحرير المرأة.

وبعد أن أدرك مبتغاه، ونال ما تمناه، وترددت أصداء دعوته في أرجاء المحروسة، ورأى بأم عينيه نتيجة ما كان يدعو إليه، انقلب فرحه غمًّا، وسروره همًّا، وانتصاره إخفاقًا وخيبة، فعاد نادمًا يقول حسبما نقلت عنه جريدة الطاهر 1906: لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر الترك، بل الإفرنج في تحرير نسائهم، وغاليت في هذا المعنى، حتى دعوتهم إلى تمزيق الحجاب، وإشراك المرأة في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم ولكن، أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس، فلقد تتبعت خطوات النساء من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات، فرأيت من فساد أخلاق الرجال وأخلاقهن بكل أسف ما جعلني أحمد الله ما خذَّل دعوتي واستنفر الناس إلى معارضتي، رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا عليها بألسنة البذاءة، وما وجدت زحامًا فمرت به امرأة إلا تعرَّضوا لها بالأيدي والألسن.

من منف إلى القاهرة

لم تكن القاهرة هي العاصمة الوحيدة لمصر على مر العصور، فقد تغيرت العاصمة مرات كثيرة، وكان أولها:

منف: وهي العاصمة الأولى بعد توحيد القطرين في عهد مينا، واستمرت من عصر الأسرة الأولى وحتى الأسرة الثامنة، أسسها مينا 3200ق.م وأسماها من نفر؛ أي الميناء الجميل، حرَّفها الإغريق إلى ممفيس، ونطقها العرب منف.

هيركليوبوليس: إهناسيا حاليًا، وكان ذلك عصر الأسرتين التاسعة والعاشرة.

طيبة: وهي المدينة التي لـمَّا فتحها العرب تعجبوا من معابدها التي عدُّوها قصورًا، فأسموها مدينة الأقصر (جمع قصر)، وكانت عاصمة في عهد الأسرة الحادية عشرة.

إث تاوي: ومعناها مراقبة الأرضين، وكانت في عصر الأسرة الثانية عشرة، انتقل إليها إمنمحات الأول، يقول سليم حسن: وتدلُّ شواهد الأحوال على أن قرية اللشت حاليًا

قامت على أنقاضها، واللشت هي إحدى قرى مركز العياط بالجيزة.

طيبة: عادت عاصمةً لمصر من جديد في عصر الأسرة الثالثة عشرة.

خاسوت: وهي اليوم سخا بمحافظة كفر الشيخ، وكانت عاصمة لمصر أثناء حكم الأسرة الرابعة عشرة.

أواريس: أو زَوَان، وكانت عاصمة للهكسوس الذين احتلوا مصر من بعد الأسرة الرابعة عشرة، وهي الآن في موقع تل الضبعة بالقرب من الشرقية.

طيبة: كانت عاصمة للمصريين وقت احتلال الهكسوس لمصر، فكانوا يعتصمون بها في الجزء الجنوبي، وبعد طرد أحمس للهكسوس بقيت عاصمة لمصر في الأسرة الثامنة عشرة باستثناء عصر إخناتون، والتاسعة عشرة حتى رمسيس الثاني.

أخيتاتون: كانت عاصمة لإخناتون الذي أراد توحيد الآلهة، ومعناها أفق قرص الشمس، وهي الآن تل العمارنة.

بر رمسيس: أي بيت رمسيس، وكانت بالقرب من مدينة أواريس القديمة، وكانت العاصمة بدءًا من حكم رمسيس الثاني في عصر الأسرة التاسعة عشرة واستمرت للأسرة العشرين.

تانيس: وهي صان الحجر حاليًا، كانت مسقط رأس سمندس مؤسس الأسرة الحادية والعشرين؛ فاتخذها عاصمةً له.

بوباستيس: وهي الآن تل بسطة بالشرقية، وكانت عاصمة الأسرة الثانية والعشرين.

تانيس: عادت عاصمةً في عصر الأسرة الثالثة والعشرين.

سايس: وهي صا الحجر حاليًا بالغربية —وهي غير صان الحجر بالشرقية– وكانت عاصمة الأسرة الرابعة والعشرين.

نبتة: وهي مدينة نوبية تقع في شمال السودان، وهي تتبع المملكة الكوشية، التي احتلت مصر في عصر الأسرة الخامسة والعشرين، وكانت هي العاصمة الرسمية، لكنهم حكموا البلاد من مدينة منف.

سايس: عادت عاصمة لمصر من جديد بعد انتهاء حكم النوبيين، مع بداية عصر الأسرة السادسة والعشرين، ثم بعدها سقطت مصر في أيدي الفرس، واعتبرت مقاطعة فارسية، حتى عادت عاصمةً من جديد في عصر الأسرة الثامنة والعشرين.

منديس: وهي تقع الآن بالدقهلية، وكانت عاصمة الأسرة التاسعة والعشرين.

سبننوت: وهي سمنُّود حاليًا التابعة لمحافظة الغربية، وكانت عاصمة مصر في عصر الأسرة الثلاثين، ويُنسب إليها أول مؤرخ مصري؛ مانيتون السمنودي، ثم سقطت مصر في أيدي الفرس مجددًا وصارت مقاطعة فارسية.

الإسكندرية: بعد دخول الإسكندر الأكبر مصر وتخليصها من الفرس، بنى مدينة الإسكندرية 332ق.م واتخذها عاصمةً للبلاد، وبقيت كذلك حتى عام 641م.

الفسطاط: وهي المدينة التي بناها عمرو بن العاص لتكون عاصمةً لمصر عام 641م/21هـ، وكان عمرو يريد

الإسكندرية عاصمة له، لكن الخليفة عمر بن الخطاب رفض أن يحول بيه وبين المسلمين ماء (نهر النيل) فانتقل عمرو بعد مشورة أصحابه إلى موضع فسطاطه الأول (خيمته) عند حصن بابليون القديم، وأقام على أنقاضه مدينته، وهي تبعد نحو ميلين عن القاهرة.

العسكر: هي المدينة التي أسسها صالح بن علي العباسي أول والٍ للعباسيين في مصر سنة 750م شمال الفسطاط، وكانت في البداية مقصورة على الجنود العباسيين؛ لذلك أُطلق عليها العسكر، واستمر ذلك الحال حتى جاء السري ابن الحكم واليًا على مصر عام 816م فأذن للناس بالبناء، فتهافت الناس على البناء بالقرب من مقر الحكم، ونمت المدينة حتى اتصلت بالفسطاط.

القطائع: لما رأى ابن طولون أن الفسطاط والعسكر تضيقان عنه وعن جنوده فكر في بناء عاصمة جديدة وسماها القطائع، فبناها 868م متأثرًا ببهاء سامراء العراقية التي نشأ

بها، واختار أحمد بن طولون لمدينته المنطقة الممتدة ما بين جبل يشكر وسفح جبل المقطم، حيث حرص على أن تقوم المدينة الجديدة على مرتفع من الأرض؛ لتبرز على سائر المجموع العمراني المحيط بها، وسُمِّيت القطائع لأنها قسِّمت إلى أحياء، وكان الحي يُسمى قطيعة.

الفسطاط: بعدما أسقط القائد العباسي محمد بن سليمان الكاتب الدولة الطولونية 905م، أحرق مدينة القطائع، وأعاد مصر للدولة العباسية، وأعاد الفسطاط عاصمةً لمصر.

القاهرة: بناها جوهر الصقلي القائد العسكري الذي قضى على الدولة الإخشيدية في مصر، وبدأت الدولة الفاطمية، وكان ذلك 969م، وسميت القاهرة تفاؤلًا بأنها ستقهر الدولة العباسية.

الحاكم بأمره

ادَّعى زورًا أنه الحاكم بأمر الله، لكنه لم يكن إلا حاكمًا بأمره هو، وعلى هوى نفسه، يقول الذهبي عنه في سير أعلام النبلاء: وكان شيطانًا مريدًا جبارًا عنيدًا، كثير التلوُّن، سفَّاكًا للدماء، خبيث النحلة[1]، عظيم المكر جوادًا ممدحًا، له شأن عجيب، ونبأ غريب، كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكامًا يلزم الرعية بها، أمر بسب الصحابة ﷺ، وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع، وأمر عماله بالسب، وبقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلاث مائة.

وأبطل الفُقَّاع[2] والملوخيا، وحرم السمك الذي لا فلوس عليه[3]، ووقع ببائعٍ لشيء من ذلك فقتلهم.

وفي سنة اثنتين وأربع مائة، حرم بيع الرطب، وجمع منه شيئًا عظيمًا، فأحرقه، ومنع من بيع العنب، وأباد الكروم.

---

[1] - الدين والعقيدة.
[2] - الفُقَّاع: شراب يُتَّخذ من الشعير يُخمَّر حتى تعلوه فقاعتُه.
[3] - أي لا قشر عليه، والفَلْس هو القشر على ظهر السمك، وهو كأم الخلول ونحوه.

وأمر النصارى بتعليق صليب في رقابهم زنته رطل وربع بالدمشقي، وألزم اليهود أن يعلقوا في أعناقهم قرمية[1] في زنة الصليب إشارة إلى رأس العجل الذي عبدوه، وأن تكون عمائمهم سودًا، وأن يدخلوا الحمام بالصليب وبالقرمية، ثم أفرد لهم حمامات، وأمر في العام بهدم كنيسة قمامة[2]، وبهدم كنائس مصر، فأسلم عدة، ثم إنه نهى عن تقبيل الأرض، وعن الدعاء له في الخطب وفي الكتب، وجعل بدله السلام عليه، وقيل: إن ابن باديس أمير المغرب بعث ينقم عليه أمورًا، فأراد أن يستميله، فأظهر التفقه، وحمل في كمه الدفاتر، وطلب إلى عنده فقيهين، وأمرهما بتدريس فقه مالك في الجامع، ثم تغير، فقتلهما صبرًا[3]، وأذن للنصارى الذين أكرههم في العود إلى الكفر وفي سنة 404هـ نفى المنجمين من بلاده، ومنع النساء من الخروج من البيوت، فأحسن وأبطل عمل

---

[1] - قطع كبيرة من الخشب.
[2] - هي كنيسة القيامة في بيت المقدس، وكان بيت المقدس تحت حكم الفاطميين.
[3] - حبسهما طويلًا، ثم قتلهما.

الخفاف لهن جملة، وما زلن ممنوعات من الخروج سبع سنين وسبعة أشهر، ثم بعد مدة أمر بإنشاء ما هدم من الكنائس، وبتنصر من أسلم، وأنشأ الجامع بالقاهرة، وكان العزيز ابتدأه.

ومازال الكلام للذهبي الذي ينقل عن ابن إياس قائلًا: وقد حبب في الآخر إلى الحاكم العزلة، وبقي يركب وحده في الأسواق على حمار، ويقيم الحسبة بنفسه، وبين يديه عبدٌ ضخمٌ فاجر، فمن وجب عليه تأديب، أمر العبد أن يولج فيه، والمفعول به يصيح!

وقيل (والكلام أيضًا للذهبي): إنه أراد ادعاء الإلهية، وشرع في ذلك، فكلمه الكبراء، وخوفوه من وثوب الناس، فتوقف.

ويورد أبو الظفر بن قزأوغلي في تاريخه[1] مثل ما أورده الذهبي مضيفًا: ونهى عن النجوم وكان ينظر فيها، ونفى المنَجِّمين وكان يرصدُها، ويخدُم زُحَل وطالِعَه المريخ؛ ولهذا كان يسفك الدماء، وبنى جامع القاهرة، وبنى جامع راشدة على

[1] - مرآة الزمان في تواريخ الأعيان.

النيل في مصر، ومساجدَ كثيرة، ونقل إليها المصاحفَ المُفضَّضةَ، والسُّتورَ الحريرَ، وقناديلَ الذهبِ والفضة، ومنع من صلاة التراويح عشر سنين، ثم أباحها، وقطع الكروم، ومنَعَ من بيعِ العِنَب، ولم يُبْقِ في ولايته كرمًا، وأراق خمسةَ آلاف جرَّةٍ من عسلٍ في البحر؛ خوفًا من أن يُعمَلَ نبيذًا، ومنعَ النساءَ من الخروج من بيوتهنَّ ليلًا ونهارًا.

ويزيد على ذلك ابن إياس في بدائع الزهور: ثم إنه أمر الناس بأن يغلقوا الأسواق بالنهار، ويفتحوها بالليل، وجعل الليل مقام النهار في جميع أحوال الناس كلها، فامتثلوا ذلك، واستمروا عليه دهرًا طويلًا، ثمَّ إنَّه مر في السوق يومًا بالنهار، فرأى إلى شيخ يعمل بالنجارة إلى بعد العصر، فوقف عليه وقال: ألم نهيتكم عن العمل بالنهار؟! فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين، أما كان الناس يسهرون بالليل، فهذا من جملة السهر!

بيت مال الخليفة

بيت الذهب: روى ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، والمقريزي في الخطط عن خمارويه بن أحمد بن طولون: وعمل في داره مجلسًا برواقة[1] سماه بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول[2] باللازورد[3] المعمول في أحسن نقش، وأظرف تفصيل، وجعل فيه على مقدار قامة ونصف صورًا في حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته، وصور حظاياه، والمغنيات اللّاتي تغنينه بأحسن تصوير، وأبهج تزويق، وجعل على رءوسهنّ الأكاليل من الذهب الخالص الإبريز[4] الرزين، والكوادن[5] المرصعة بأصناف الجواهر، وفي آذانها الأجراس الثقال الوزن، المحكمة الصنعة، وهي مسمرة في الحيطان، ولوّنت أجسامها بأصناف أشباه الثياب من الأصباغ العجيبة.

---

[1] - بيت يشبه الفسطاط، يُحمل على عمود واحد طويل.
[2] - منقوش عليه باللازورد على هيئة أهلّة (جمع هلال).
[3] - حجر كريم سماوي اللون.
[4] - الذهب الخالص.
[5] - مفردها كودن وهو الفرس، يقصد تماثيل على هيئة فرس.

بركة الزئبق: ويروي المؤرخان نفسيهما عن الخليفة نفسه: وجعل بين يدي هذا القصر فسقيّة ملأها زئبقًا، وسبب ذلك أنه اشتكى إلى طبيبه كثرة السهر وعدم النوم، فأشار عليه بالتكبيس، فأنِفَ من ذلك وقال: لا أقدر على وضع يد أحدٍ عليَّ، فقال له الطبيب: تأمر بعمل بركة من زئبق، فعمل البركة المذكورة، وطولها خمسون ذراعًا في خمسين ذراعًا عرضًا وملأها من الزئبق، فأنفق في ذلك أموالًا عظيمة، وجعل في أركان البركة سككًا من فضة، وجعل في السكك زنانير[1] من حرير محكمة الصنعة في حِلَقٍ من فضَّة، وعمل فرشًا من أدم[2] يُحشى بالريح[3] حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شدّه، ويلقى على تلك البركة الزئبق ويشدّ بالزنانير الحرير التي في حلق الفضة المقدّم ذكرها، وينزل خمارويه فينام على هذا الفرش، فلا يزال الفرش يرتجّ ويتحرّك بحركة الزئبق ما دام عليه، وكانت هذه البركة من

---

[1] - أحزمة، وواحدتها زنَّار.
[2] - الجلد المدبوغ.
[3] - أي ينفخ بالهواء.

أعظم الهمم الملوكيّة العالية؛ وكان يرى لها في الليالى المقمرة منظر عجيب إذا تألّف نور القمر بنور الزئبق، قال القضاعيُّ: ولقد أقام الناس مدّة طويلة بعد خراب هذا القصر يحفرون لأخذ الزئبق من شقوق البركة.

دار السباع: وينتقلان إلى وصف شغفه بالسباع: وبنى أيضًا في داره: دارًا للسباع عمل فيها بيوتا بآزاج[1]، كل بيت يسع سبعًا، ولبوته، وعلى تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها بحركات، ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل، وفي جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء، وبين يدي هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها، وفي جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير، فإذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته أو وضع وظيفة اللحم التي لغذائه، رفع الباب بحيلة من أعلى البيت، وصاح

[1] - واحدتها: أزج، وهو بناء مستطيل مقوَّس السقف.

بالسبع، فيخرج إلى القاعة المذكورة، ويردّ الباب، ثم ينزل إلى البيت من الطاق، فيكنس الزبل، ويبدّل الرمل بغيره مما هو نظيف، ويضع الوظيفة من اللحم في مكان معدّ لذلك بعدما يخلص ما فيه من الغدد، ويقطعه لهما، ويغسل الحوض، ويملأه ماء، ثم يخرج ويرفع الباب من أعلاه، وقد عرف السبع ذاك، فحال ما يرفع السائس باب البيت دخل إليه الأسد، فأكل ما هيئ له من اللحم، حتى يستوفيه، ويشرب من الماء كفايته، فكانت هذه مملوءة من السباع، ولهم أوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع، فتخرج إلى القاعة، وتتمشى فيها وتمرح وتلعب، ويهارش[1] بعضها بعضًا، فتقيم يومًا كاملا إلى العشيّ، فيصبح بها السّواس، فيدخل كل سبع إلى بيته لا يتخطاه إلى غيره.

حديقة حيوان خمارويه: ويستمر المؤرخان في وصف ترف خمارويه، وشغفه بالحيوانات التي جمع منها أنواعًا عدة، وأعدَّ لها دورًا وإسطبلات شتى: واتسعت أيضًا إصطبلات خمارويه،

[1] - يتهارشون أي يتواثبون.

فعمل لكل صنف من الدواب إصطبلًا[1] مفردًا، فكان للخيل الخاص إصطبل مفرد ولدواب الغلمان إصطبلات عدّة، ولبغال القباب[2] إصطبلات، ولبغال النقل غير بغال القباب إصطبلات، وللنجائب[3] والبخاتي[4] إصطبلات لكل صنف إصطبل مفرد للاتساع في المواضع والتفنن في الأثقال، وعمل للنمور دارًا مفردة، وللفهود دارًا مفردة، وللفيلة دارًا، وللزرافات دارًا، كل ذلك سوى الإصطبلات التي بالجيزة.

[1] - ذكرتها المعاجم بالسين، والصاد، وكلتاهما صحيحة.
[2] - البغال التي تحمل الهوادج.
[3] - وهي التي تكون أفضل من غيرها في نوعها.
[4] - الإبل ذات السنامين.

عروس أفلست مصر

أمَّا العروس فهي قطر الندى بنت خمارويه بن أحمد ابن طولون، واسمها الحقيقي أسماء، وأمَّا العريس فهو المعتضد بالله الخليفة العباسي، ولا حاجة للقول بأن الزواج كان لأسباب سياسية واضحة.

أمَّا عن العُرس، وما أنفق فيه، فيكفي أن نقول إنه لما مات خمارويه، لم يجد ابنه جيش ما يعطيه للجند ليعقدوا له البيعة؛ ذلك لأن خمارويه كان قد أفرغ الخزائن في تزويج قطر الندى!

قال عنها الزركلي في الأعلام: من شهيرات النساء عقلًا وجمالًا وأدبًا، تزوجها المعتضد العباسي سنة 281هـ وجهَّزها بجهاز لم يعمل مثله!

وقد أسهب المؤرخون في وصف هذا الجهاز العجيب، يقول المقريزي في خططه عن خمارويه: ثمَّ إنه أخذ في تجهيز ابنته، فجهَّزها جهازًا ضاهى به نِعَم الخلافة، فلم يبق خطيرة ولا طرفة من كل لون وجنس إلا حمله معها، فكان من جملته:

دكة أربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك في كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة، ومائة هون من ذهب!

ويفصِّل الذهبي في تاريخ الإسلام ذلك الجهاز: قَدِمَتْ قَطْرُ الندى بنت خُمَارَوَيْه من مصر، ومعها عمّها لِتُزَف إلى المُعْتَضِد، فدخل عليها في ربيع الأول، وكان في جِهَازها أربعة آلاف تِكّة مُجوْهرة، وعشرة صناديق جواهر. وَقُوِّمَ ما دَخَلَ معها فكان ألف ألف دينار ونيف، وكان صداقها من المعتضد ألف ألف درهم، وأعطي ابن الجصاص الذي مشى في الدلالة مائة ألف دينار، أعطاه ذلك أبوها!

تحتمس الملهم

هو تحتمس الثالث، أو كما يسميه الغرب نابليون الشرق، وإن كان في ذلك انتقاصٌ من قدر تحتمس الثالث الذي فاق نابليون وغيره براعةً ومقدرةً في ميادين القتال، هو أسطورة مصر القديمة، أعظم حكام مصر، وأقوى أباطرة التاريخ، أضف إلى ذلك أنه صاحب أوَّل معركة سجلها التاريخ تسجيلًا دقيقًا؛ وهي معركة مجدُّو الخالدة، والأهم من ذلك كله أنه كان قائدًا حربيًّا من طرازٍ رفيع، لازال إلى اليوم ملهمًا لقادة العالم بعبقريته الحربية الفذة!

وقد استعانت الإمبراطورية البريطانية بكثيرٍ من خطط تحتمس الثالث؛ ففي معركة مجدو تحصَّن الأعداء منتظرين قدوم الملك المصري، الذي قرر أن يفاجأهم، فسلك ممر عرونا الضيق الوعر، وقد بلغ من ضيقه أن فك الجنود العربات الحربية وحملوها مفككة، وقيل إنهم حملوا أحصنتهم أيضًا، ليتفاجأ جيش العدو بتلك الخطوة العبقرية من تحتمس الثالث،

ففرَّوا مذعورين تاركين أسلحتهم ومعداتهم وعرباتهم غنيمة للجيش المصري.

الخطة نفسها لجأ إليها اللورد ألنبي؛ إذ اقتحم بخيالته ممر عرونا بعد أكثر من خمسةٍ وثلاثين قرنًا من اقتحام تحتمس الثالث، ليفاجئ جنود الدولة العثمانية، وكان ذلك تحديدًا عام 1918م.

مرة أخرى يتبع القائد الإنجليزي مونتجمري خطط تحتمس الثالث، وكان ذلك في الحرب العالمية الثانية؛ إذ عبر القائد الإنجليزي وجنوده نهر الراين عن طريق سفن عبور جيء بها برًّا من الساحل بسرعة خاطفة، مقلِّدًا ما ابتكره تحتمس الثالث أو أبو الإمبراطوريات كما يلقبونه حين عبر نهر الفرات.

ولم يكتفِ الإنجليز بتتبع المنهج الحربي لتحتمس الثالث، وإنما اتبعوا منهجه السياسي أيضًا، فقد كان إمبراطور مصر يأخذ من كل أمير يعينه على إمارةٍ خارج مصر ولي عهده، ليتربى في مصر، وينشأ على حبها والولاء لها، فإذا مات أميرٌ

من الأمراء، أرسل ابنه بدلًا منه ليضمن ولاءه للدولة المصرية، يقول سليم حسن في موسوعته مصر القديمة: وهذه هي السياسة التي سار على منوالها الإنجليز في تربية أمراء الهنود في الكليات الإنجليزية التي أُسست عن قصدٍ لتنفيذ هذا النظام، ونخص بالذكر منها كليتي: أجمير، ولاهور.

سياحة الآثار

والسياحة هي سفر الإنسان من بلدٍ إلى بلدٍ لرؤية آثاره، لكن عندنا يبدو الأمر مختلفًا قليلًا؛ إذ تسافر الآثار بنفسها ليشاهده كل العالم دون مكابدة عناء السفر، وكأننا نقدِّم للعالم خدمة توصيل الآثار للمنازل!

لا تندهش الآن ودعني أطرح عليك بعض الأسئلة:

س: أين يوجد التمثال الشهير لرأس نفرتيتي؟

ج: في متحف برلين في ألمانيا! فبعد أن اكتشفه الألماني لودفيج بورشاردت 1912م نقله إلى ألمانيا، وتنقَّل بين المتاحف حتى استقر به المقام في متحف برلين.

س: كم مسلة مصرية خارج مصر؟

ج: في روما وحدها ثمانية مسلَّات مصرية، نقلها أباطرة الرومان أثناء حكمهم لمصر، بالإضافة لمسلة على نهر التيمز بلندن، وثانية في حديقة سنترال بارك بالولايات المتحدة، وثالثة في ساحة الكونكورد في باريس، ورابعة في إسطنبول!

س: ما الهدية الأغلى التي يمكنك تقديمها لشخصٍ ما؟! ماذا؟! هل يبدو السؤال غريبًا ولا يمت لما قبله بصلة؟ دعني أخبرك ببعض هدايا الرئيس عبد الناصر للدول الغربية، لكن أولًا دعني أخبرك بسبب الهدية..

عندما قررت مصر بناء السد العالي واجهتها عقبات كثيرة، ما يهمنا هنا من هذا العقبات هو غرق بعض المعابد في النوبة، وتهديد بعضها بالغرق، واستحالة إنقاذها بأيدٍ مصرية ولا بتمويل مصري، فاستجاب اليونسكو سريعًا، وتم إنقاذ آثار النوبة بشكل إعجازي، فقرر الرئيس جمال عبد الناصر تعبيرًا عن امتنانه إهداء أكثر الدول مساهمةً في عملية الإنقاذ بعض الهدايا.

أمَّا الهدايا فكانت عبارة عن معابد، نعم، لا تفرك عينيك ولا تفغر فاك، كما قرأت، أهدى خمس دول خمسة معابد!

1- أهدى الولايات المتحدة معبد دندور، وهو معبد من العصر الروماني، وهو الآن بمتحف المتروبوليتان بنيويورك.

2- أهدى أسبانيا معبد ديبود، وهو معبد بُني في العام الثاني قبل الميلاد.

3- أهدى هولندا معبد طافا، وقد تم بناؤه ما بين العام الأول والرابع عشر بعد الميلاد.

4- أهدى إيطاليا معبد إليسيا، الذي بُني في عصر تحتمس الثالث، وهو الآن بمتحف تورينو.

5- أهدى ألمانيا جزءًا من معبد كلابشة، وهو البوابة البطلمية، وهو محفوظ الآن في جناح الآثار المصرية في متحف برلين.

ولم يكن عبد الناصر أول من يهدي آثار مصر للخارج، فقد سبقه الكثيرون، منهم محمد علي باشا الذي أهدى مسلة معبد الأقصر لفرنسا، وهي الآن كما أسلفنا في ساحة الكونكورد في باريس، وكذلك الخديوي إسماعيل الذي أهدى أرشيدوق[1] نمساوي قاعة من أحد قصور المماليك القديمة

[1] - أرشيدوق: هو لقب يطلق على أفراد العائلة المالكة في النمسا.

بكامل محتوياتها، كما أهدى أكثر من أربعة آلاف قطعة أثرية لملوك وقناصل النمسا وفرنسا وألمانيا!

ليس هذا فحسب، بل إن متاحف العالم متخمة بالآثار المصرية، المسروقة والمنهوبة والمهداة، فالمتحف البريطاني وحده يضم أكثر من مائة ألف قطعة أثرية مصرية، وهو ما يساوي تقريبًا عدد ما يضمه المتحف المصري نفسه!

وفي بريطانيا أيضًا يضم متحف بتري للآثار المصرية أكثر من ثمانين ألف قطعة أثرية، ومتحف أشموليان بأكسفورد يضم حوالي أربعين ألف قطعة، ومتحف فيتزويليام بكامبريدج يحوى حوالي ستة عشر ألف قطعة أثرية مصرية، ونفس العدد تقريبًا بمتحف العالم بليفربول، ومثلهم بمتحف مانشستر!

أما الولايات المتحدة فيضم متحف الفنون الجميلة في بوسطن ما يزيد عن خمسٍ وأربعين ألف قطعةٍ أثريةٍ مصرية، ومثلهم تقريبًا في متحف كيسلي لعلم الآثار بميتشيجن، وما يزيد عن اثنين وأربعين ألفًا في متحف جامعة بنسلفانيا،

وحوالي ثلاثين ألف قطعة في المتحف الشرقي بشيكاغو، وأكثر من ستةٍ وعشرين ألفًا في متحف المتروبوليتان بنيويورك، وأكثر من سبعة عشر ألف قطعة بمتحف هيرست بكاليفورنيا، وأكثر من أربعة آلاف قطعة في متحف روزيكروشيان المصري بكاليفورنيا أيضًا، وغيرها في شيكاغو، وواشنطن، وبروكلين، وتينيسي، ولوس أنجلوس!

وفي فرنسا يضم متحف اللوفر حوالي خمسين ألف قطعة أثرية مصرية، وغيرها آلاف من القطع في ألمانيا وهولندا وإيطاليا وروسيا والنمسا والمجر واليونان وتركيا والفاتيكان!

القمر هدية لعبد الناصر

وبالعودة إلى هدايا عبد الناصر المتمثلة في معابد أثرية، نذكر جانبًا مما قيل في الدفاع عنه؛ لنكون صادقين في نقل الصورة كاملة، ويبقى الحكم لك.

من التقاليد المعمول بها في هيئة الآثار المصرية أنها تسمح للمستكشفين بنسبة من الآثار التي يعثرون عليها، بعد أن تختار الدولة ما تأخذ وما تترك لهم، فتختار لنفسها الأكثر قيمة وأهمية تاريخية، ومسألة آثار النوبة أشبه بذلك، فقد كانت النوبة بكاملها معرضة للغرق، بل إن بعض المعابد كان الماء يغمره بالفعل، ولولا تدخُّل اليونسكو، ومساهمة دول العالم مساهمات مادية باهظة، ومساهمات علمية جبَّارة لضاع على مصر تراث عظيم، يتمثل في معابد فيلة، وأبي سمبل وغيرها، فكانت الهدايا تقديرًا على ما أنقذوه من تاريخ مصر وتراثها، وكانت المعابد المهداة هي الأقل قيمة من بين ما تم إنقاذه.. وجهة نظر!

ولم يكن عبد الناصر فقط يُهدي الهدايا الفريدة، وإنما كان يتلقاها أيضًا، فقد تلقى من الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون أحجارًا من القمر!

الأحجار التي جلبتها مركبة الفضاء أبوللو 11 من القمر توجد الآن بمتحف جمال عبد الناصر بمنشية البكري بمصر الجديدة.

جواز سفر رمسيس الثاني

كانت الاستعدادات تجري على قدمٍ وساق في مطار لوبورجيه لاستقبال الملك المصري العظيم، كان استقبالًا رسميًّا كاملًا، الرئيس الفرنسي فرانسوا نيكرا يقف بنفسه في انتظاره، والفرقة العسكرية تستعد لعزف النشيد الوطني في استقباله.

كان الضابط الفرنسي يتمم الإجراءات، ويعيد قراءة بيانات جواز السفر في إجلال؛ الاسم: رمسيس الثاني، الجنسية: مصري، تاريخ الميلاد: 1303ق.م، الصفة: ملك مصري سابق، ابتسم الضابط الفرنسي في نشوة وهو يختم التأشيرة التي لن ينساها أبدًا، كان ذلك في سبتمبر 1976م!

أمَّا تفصيل ذلك؛ ففي وقتٍ سابق من العام نفسه اكتشف علماء الآثار ظهور فطريات في مومياء رمسيس الثاني، مما يستلزم إرسالها إلى فرنسا للعلاج قبل أن تنتشر الفطريات فتتلف المومياء، لكنَّ القانون الفرنسي يحتِّم على من يدخلها حيًّا كان أو ميتًا أن يحمل جواز سفر وتأشيرة!

رمسيس بسبعة جنيهات

في فبراير 1881 في الدير البحري بالأقصر خرج الأخوان محمد عبد الرسول وأحمد عبد الرسول يبحثان عن عنزتهما، طال بهما البحث فلم يجداها لكنهما وجدا شيئًا آخر..

وجدا خبيئة ملكية تحوي العديد من المومياوات الفرعونية والأثاث الجنائزي، وظلَّا يستخرجان منها تدريجيًّا ويبيعان للإنجليز حتى علم الفرنسي ماسبيرو مدير مصلحة الآثار المصرية، فقبض عليهما وعذَّبهما حتى اعترفا بالسرقة، وأرشداه إلى موقع الخبيئة التي عثر فيها على مومياء سقنن رع، وأحمس، وتحتمس الثالث، وسيتي الأول، ورمسيس الثاني، وغيرهم!

بالمناسبة، حينما اكتشف عبد الرسول مومياء رمسيس الثاني رفض المكافأة التي كانت عبارة عن عشرات الأفدنة، وطلب أن يُسك جنيه إنجليزي ذهبي توضع عليه صورته، تمامًا كصورة ملكة إنجلترا، وقد كان، وتوجد نسخه من جنيه عبد الرسول في المتحف البريطاني!

وبالعودة للوراء قليلًا، وقبل أن تعرف أجهزة الدولة بأمر عائلة عبد الرسول، تمكنوا من بيع آثار كثيرة، منها مومياء رمسيس الأول التي قاموا ببيعها لتاجر الآثار مصطفى الأغا بسبعة جنيهات!

بعدها تم تهريبها إلى أمريكا الشمالية، ووضعها في متحف نياجرا فولز بكندا، ثم عرضت المومياء التي كانت مجهولة الهوية للبيع مع باقي محتويات المعرض، فاشتراها رجل الأعمال الكندي وليام جيميسون، ثم باعها لمتحف مايكل كارلوس بمدينة أتلانتا بالولايات المتحدة، وهناك أثبت الفحص الدقيق أنها مومياء رمسيس الأول، وفي عام 2003م استعادت مصر مومياء رمسيس الأول لتنضم إلى مومياوات متحف مجد طيبة بالأقصر.

هل كانت مؤامرة

توت عنخ آمون: كان يعانى من خلل جيني متوارث في العائلة وكان هناك ضعف وأمراض في هذه المومياوات، ومشاكل ذات علاقة بالقلب والأوعية الدموية. وعندما قام الباحثون بإجراء مسح لمومياء توت عنخ آمون، وجدوا إصابته بالعديد من الأمراض مثل إصابته باحدوداب في عموده الفقري، إلى جانب تشوه إصبع القدم الكبير، الأمر الذي أدى إلى ضمور في قدمه اليسرى.

والرسومات القديمة كانت تصور توت عنخ آمون وهو يطلق السهام أثناء جلوسه في العربة التي تجرها الخيل، وليس أثناء وقوفه، وهو أمر غير عادي، وفي قبره عثرنا على مائة عصا للمشي، وفي البداية اعتقدنا أنها تمثل السلطة والقوة، ولكن تبين أنها عكازات قديمة كان يستخدمها، فهو بالكاد كان يستطيع السير والمشي، أما الثقب الذي أظهرته أشعة إكس في رأسه فهو مجرد فتحة لزوم عملية التحنيط، غير أنه تم

اكتشاف كسر في عظم الساق الأيسر، ربما يكون له دور في الوفاة.

هذه نظرية د/ زاهي حوَّاس في الوفاة الطبيعية للملك توت، غير أنَّ ثمَّة نظرية أخرى تومئ إلى جريمة قتل..

بعد وفاة الملك توت، اعتلى الكاهن الوزير آي العرش، وقد كان وصيًّا على الملك الشاب، ولم يكتفِ بعرشه، وإنما تزوَّج من أرملته ليثبِّت نفسه على العرش بزوجة ذات دماء ملكية تكسبه الشرعية اللازمة، ثم استولى في جملة ما استولى على بعض التماثيل الضخمة التي كان الملك توت قد أمر أن تقطع له!

وبخلاف التقارير الطبية والمؤشرات التاريخية، فإنَّ نظرة متأملة لمقبرة الملك توت قد تكون كافية لتقرير أن الأمور قد جرت بسرعة مباغتة، وكأنَّ أحدهم أراد أن يخفي شيئًا..

الحجرة التي دُفن فيها كانت صغيرة جدًّا لا تتناسب وملك، ولا تتناسب وحجم الكنوز الموضوعة فيه، حتى إن

العمال احتاجوا إلى توسيع الباب ليتمكنوا من إدخال بعض الأغراض، وكأنها لم تكن معدَّة بالأصل لاستقباله، حتى المحاريب وجدت في وضعية معكوسة في مخالفة صريحة للشعائر الدينية المعروفة آنذاك، مما يدل على أنَّ هذه المقبرة ليست له، وإنما دُفن فيها بدافع الضرورة الملجئة والموت الفجائي على حد تعبير المؤرخ الكبير سليم حسن صاحب موسوعة مصر القديمة.

الملك فاروق: في إحدى الليالي الربيعية، وتحديدًا في الثامن عشر من مارس لعام 1965م كان ذلك الرجل البدين الجالس على طاولته في مطعم إيل دي فرانس في روما يلتهم وحده وليمة عظيمة كان قوامها دستة من المحار، وجراد البحر، وشريحتين من لحم العجل، وكمية كبيرة من البطاطا المحمرة، أتبعها بكمية أكبر من الكعك المحشو بالمربى والفاكهة، ومن البديهي أن رجلًا بدينًا مصابًا بضيق الشرايين وارتفاع ضغط الدم لا يتحمل مثل هذه الوجبة الثقيلة، التي تسببت في وفاته.

هذا وجهٌ للقصة، لكن ثمة وجهًا آخر للقصة نفسها..

وقف النادل اليهودي أمام طاولة ذلك الرجل البدين، واضعًا ما لذ وطاب من الطعام على الطاولة بعنايةٍ شديدة، وهو يُخفي ابتسامةً شيطانية، ثم حيَّا الرجل الذي كان مشغولًا بالتهام الطعام الشهي، وانصرف في خفة.. كان هذا اليهودي مزيفًا، فلا هو يهودي ولا هو نادل، إنما هو ضابط المخابرات المصري إبراهيم البغدادي، الذي عمل نادلًا في المطعم الإيطالي تحت اسمٍ مستعارٍ وشخصية مستعارة لينفِّذ مهمة واحدة، هي التخلص من الملك فاروق الذي أُشيع أنه يرغب في العودة إلى مصر، وقد روت اعتماد خورشيد في مذكراتها أنَّ المشير عبد الحكيم عامر اعترف لها بالتخطيط لعملية قتل الملك، وكان من أشد المؤيدين لتلك الرواية الإعلامي الراحل محمود فوزي صاحب موسوعة حكام مصر.

جديرٌ بالذكر أن إبراهيم البغدادي في ذات العام الذي تخلَّص فيه من فاروق —حسب هذه الرواية– تم تعيينه محافظًا

للمنوفية، ثم كفر الشيخ، ثم المنيا، ثم القاهرة، وكأنها مكافأة له على جهوده العظيمة في خدمة مصالح البلاد!

وبقيت الرواية الأولى هي الرواية الرسمية والمعلنة؛ خاصةً بعد رفض أسرة الملك تشريح الجثة ومعرفة سبب الوفاة!

عبد الحكيم عامر: بعد هزيمة الجيش النكراء في 1967 لم يتحمل المشير عبد الحكيم عامر الأمر وقرر التخلص من حياته فانتحر في سبتمبر من العام نفسه، وكان الخبر في جريدة الأهرام تحت عنوان كبير: انتحر عبد الحكيم عامر، وكانت التفاصيل كالتالي:

تناول المشير عبد الحكيم عامر كمية كبيرة من مادة مخدرة سامة بعد ظهر يوم الأربعاء قاصدًا الانتحار، كان الفريق أول محمد فوزي، والفريق عبد المنعم رياض قد ذهبا إلى بيته يدعوانه لسماع أقواله في التحقيقات العسكرية التي جرت أخيرًا فدخل إلى حجرة نومه، وابتلع المادة السامة، القائد العام ورئيس أركان الحرب اكتشفا أعراض التسمم ظاهرة على

المشير، فصحباه فورًا إلى مستشفى القوات المسلحة في المعادي حيث جرى إسعافه، انتحر المشير عبد احكيم عامر وأنهى حياته مساء أمس الأول بعد عدة محاولات للانتحار تكررت منذ يوم 8 يونيه الماضي.

أمَّا الرواية الثانية فتشير بأصابع الاتهام إلى الإدارة المصرية..

بعد سوء إدارته في مواجهة العدوان الثلاثي، ثم فشل الوحدة مع سوريا، ثم التدخل في حرب اليمن، ساءت العلاقت كثيرًا بين الصديقين عبد الناصر وعبد الحكيم، حتى أتت النكسة على كل ما تبقى من ودٍّ بينهما، فتم وضعه تحت الإقامة الجبرية، ودس السم له والتخلص منه.

ويرى ابن المشير أن والده يتحمل جزءًا يسيرًا من مسئولية النكسة خاصةً وأن وزير الحربية وقتها كان شمس بدران، ليس والده، لكنَّ المشير كان نائبًا للقائد الأعلى للقوات المسلحة، كما يشير ابنه إلى أنهم أعطوا أباه سمًّا يكفي لقتل خمسين شخصًا، وقد أكدت زوجته برلنتي عبد الحميد التي أعلنت

2007 أن الطبيب الذي حقق في الوفاة أكد لها أنه مات مسمومًا وقد رأت التقرير بعينيها، كما جاء في وصيته التي نشرتها مجلة لايف الأمريكية وقرأها الإعلامي عمرو الليثي في برنامجه بوضوح: وإذا كانت هذه الوصية قد كتبت في عجالة، فذلك لأني أخشى ما يخبئه القدر لي، فلقد فقدت الثقة في صديقي وأخي جمال، ولم أعد أشعر بأني آمنٌ معه، وأنا أتلقى تهديدات لأني طلبت محاكمة علنية، ومنذ حوالي ساعتين زارني ضابط مخابرات لم أكن لأتكبد عناء النظر إليه أيام مجدي، وهدد بإسكاتي إلى الأبد إذا غامرت بالتكلم، وحين قلت له إني أريد الاتصال بالرئيس قال: إذا كنت تحسب أن صداقتك مع الرئيس تحميك فأنت مخطئ، وحاولت الاتصال بالرئيس هاتفيًّا، ولمدة ثلاثة أيام حاولت أن أتصل به ولكن قيل لي إنه مشغول، وأنا على يقين أن ثمة مؤامرة تُحاك ضدي!

وتبقى الرواية الرسمية المعلنة أيضًا هي رواية الانتحار، وتبقى الحقيقة كاملةً عند علام الغيوب!

قناة كبريت

سنوسرت الثالث: في عام 1850ق.م تقريبًا، وفي عصر الأسرة الثانية عشرة تحديدًا، أراد الملك سنوسرت الثالث تحسين العلاقات التجارية وربط بلاد بونت بمصر ببعض جزر البحر المتوسط، فأمر بحفر قناة تربط بين النيل والبحر الأحمر لتيسير حركة السفن بين المسطحات المائية الثلاثة؛ البحرين الأحمر والأبيض، ونهر النيل، وبدأ الحفر فعلًا في القناة التي أسماها سنوسرت قناة كبريت؛ نسبةً إلى جزيرة كبريت بالقرب من السويس، لكنها اشتهرت تاريخيًّا باسم سنوسرت الذي كان نطق اسمه بتحريف أهل النوبة سيزوستريس حسب سليم حسن صاحب موسوعة مصر القديمة، وهو الاسم الذي نقله هيرودوت للعالم، فاشتهرت القناة باسم قناة سيزوستريس.

تحتمس الأول: أثناء معاركه مع بلاد النوبة أمر تحتمس الأول في الأسرة الثامنة عشرة بتجريف القناة مجددًا بعدما سدتها بعض الأحجار لتبحر من خلاله سفنه إلى النوبة.

سيتي الأول: أعاد سيتي الأول في الأسرة التاسعة عشرة حفر القناة بعدما أهملت قليلًا في عصورٍ سابقة، وكان ذلك تقريبًا 1310ق.م.

نخاو الثاني: هو ابن أبسماتيك الأول، وأحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين، وقد روى هيرودوت كيف اضطلع نخاو الثاني، الذي أراد مد نشاطه البحري والتجاري، بحفر القناة التي كانت تصل نهر النيل بالبحر الأحمر، وأعطى مصر أسطولًا من السفن ذات الثلاثة صفوف من المجاديف، وقام بحارته الفينيقيون برحلة استغرقت ثلاث سنوات، من البحر الأحمر إلى رأس الرجاء الصالح، وعادوا عن طريق جبل طارق.

دارا الأول: وهو الحاكم الإخميني الثاني لمصر، والإخمينيين هم الفرس، فبعد وفاة قمبيز تولى دارا الأول حكم مصر، ويُعرف تاريخيًّا باسم داريوس، أو داريوش، وقد أعاد حفر القناة لتيسير العلاقات بين مصر وبلاد الفرس، فقام بتوسيعها وتنظيفها وربطها بالبحيرات المرة وكان ذلك 510ق.م.

بطليموس الثاني: بعدما دخل الإسكندر الأكبر مصر 332ق.م، قرر إعادة حفر القناة مجددًا لتسهيل نقل سفنه الحربية وجنوده من الإسكندرية إلى البحر الأحمر، لكنه لم يتمّها، وأتمَّها بعده بطليموس الثاني 285ق.م، فأصبحت جاهزة للملاحة.

تراجان: في حقبة الحكم الروماني لمصر، أمر الإمبراطور الروماني تراجان 117م بإعادة حفر القناة التي طمرتها الرمال، كما أمر بإنشاء فرعًا جديدًا للنيل يبدأ من فم الخليج بالقاهرة ويصل إلى الشرقية ليتصل مع الفرع القديم الموصل للبحيرات المرة.

عمر بن الخطاب: بعد الفتح الإسلامي لمصر، احتاج المسلمون إلى ربطٍ بين مصر وشبه الجزيرة، فقام عمرو ابن العاص والي عمر بن الخطاب على مصر بإعادة حفر القناة الرومانية مرة أخرى، وأسماها خليج أمير المؤمنين، وكان ذلك في عام الرمادة، وكانت تربط بين بحر القلزم (البحر الأحمر)

ومدينة الفسطاط، وقد استمرت القناة على حالها لسنوات طوال، حتى أمر الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور بردم القناة وسدها تمامًا من السويس؛ حتى يمنع أية إمدادات مصرية لمكة والمدينة الثائرتين على حكمه.

أفكار لم تكتمل: بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح تأثرت مصر وإيطاليا وغيرهما تجاريًّا بشدة، حتى إنَّ أمراء البندقية الإيطالية عرضوا على قانصوه الغوري فكرة إعادة القناة، لكن الموارد المالية وقتها لم تسمح بذلك، وبعدها عرض الفيلسوف الألماني لايبيتز على لويس الرابع عشر فكرة إعادة القناة مع غزو مصر، لكنه لم يفكر في غزو مصر بالأساس، لأن طموحاته الاستعمارية كانت محصورة في أوروبا، وبعد دخول نابليون مصر فكَّر في إعادة القناة للحياة من جديد، لكن بصورة جديدة، تقوم على ربط البحرين مباشرةً، فذهب للمعاينة مع بعض مهندسيه، إلا أن المهندسين أخبروه أن منسوب البحر الأبيض أعلى من منسوب البحر الأحمر مما

قد يتسبب بإغراق مصر بالكامل، فصرف نابليون نظر عن هذا المشروع، وفي عهد محمد علي أمر المهندسَ الفرنسي لينان دي بلفون بوضع مشروع لربط البحرين، وأكد المهندس الفرنسي أنه لا خطر على الإطلاق من حفر القناة، لكن العمل فيها لم يبدأ إلا في عهد سعيد.

محمد سعيد باشا: وهو الذي منح الفرنسي فرديناند دي ليبس الموافقة على مشروعه بخصوص ربط البحرين وإنشاء قناة السويس، التي حفرت بالسخرة، وعلى دماء وجثث المصريين الذي كانوا يموتون من شدة التعب، فيدفنون في أماكنهم، تحت تراب الحفر والردم، أو تحت مياه القناة!

بالمناسبة، ماتيو دي ليسبس أبو فرديناند، هو الذي قام باختيار محمد علي واليًّا على مصر بعد الثورة على خورشيد، فبعدما اختار الإنجليز البرديسي، اختار الفرنسيون المتمثلون في ماتيو دي ليسبس محمد علي، فحفظ له محمد على الجميل، وعيَّن ابنه فرديناند قنصلًا مساعدًا له.

المهم، تمت أعمال الحفر في قناة السويس في عهد الخديوي إسماعيل، وكذلك حفل افتتاحها التاريخي، وقد بدأ حفرها في 25 أبريل1859م، وتم الانتهاء منها بعد عشر سنوات تقريبًا، وكان حفل الافتتاح في 16 و17 نوفمبر 1869م.

يا سلام سلّم الحيطة بتتكلم

في أوائل شهر رجب لعام 778هـ حدثت حادثة فتنت الناس، وسلبت ألبابهم، إذ سمعوا حائطًا يتكلم في بيت العدل شهاب الدين أحمد بالقرب من الجامع الأزهر!

يقول ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة: فصار كلُّ من يأتي إلى الحائط المذكور ويسأله عن شيء يردّ عليه الجواب ويكلّمه بكلام فصيح، فجاءته الناس أفواجًا وتردّدت إلى الحائط المذكور أكابر الدولة، وتكلّموا معه وافتتن الناس بذلك المكان، وتركوا معايشهم وازدحموا على الدار المذكورة، وأكثر أرباب العقول الفحص عن ذلك، فلم يقفوا له على خبر، وتحيّر الناس في هذا الأمر العجيب، إلى أن حضر الى البيت المذكور القاضي جمال الدين محمود القيصريّ العجميّ محتسب القاهرة، وفحص عن أمره بكلّ ما يمكن القدرة إليه، حتّى إنه أخرب بعض الحائط فلم يؤثّر ذلك شيئًا واستمرّ الكلام في كلّ يوم إلى ثالث شعبان، وقد كادت العامّة أن

تتعبد بالمكان المذكور. وأكثروا من قولهم: يا سلام سلّم، الحيطة بتتكلّم!

وخاف أهل الدولة من إفساد الحال وقد أعياهم أمر ذلك، حتّى ظهر أنّ الذي كان يتكلّم هي زوجة صاحب المنزل، فأعلم بذلك الأتابك[1] برقوق، فاستدعى بها مع زوجها فحضرا فأنكرت المرأة فضربها فأقرّت، فأمر بتسميرها[2] وتسمير شخص آخر معها يسمى عمر، وهو الذي كان يجمع الناس إليها، بعد أن ضرب برقوق الزوج وعمر المذكور بالمقارع[3] وطيف بهما في مصر والقاهرة ثم أُفرج عنهم، بعد أن حُبسوا مدّة.

---

[1] - الأتابك هو قائد الجند، وكان الظاهر برقوق قائدًا لجند المنصور علي الذي وقعت الوقعة في زمنه، ثم الصالح حاجي من بعده، وذلك قبل أن يتسلطن بعد خلع الصالح حاجي.

[2] - وهي طريقة تشبه التجريس، ولكن كان الضحية يسمر فيها على جمل بالمسامير، ويطاف به في الشوارع.

[3] - المقرعة هي جريدة معقوفة الرأس يُضرب بها، وهي أيضًا السوط الذي يُقرع به.

عبيد بالعسل

كان الملك بيبي الثاني، وهو بالمناسبة أطول حكام العالم في مدة الحكم؛ إذ تولى الحكم وهو في السادسة من عمره، وبقي على العرش حتى بلغ المائة، فيكون حكمه أربعة وتسعين عامًا حسب مانيتون السمنودي، أو مائة عام إلا ساعة حسب المؤرخ السكندري أراتستونيس!

كان شديد الكراهية للذباب، فابتكر نظامًا فريدًا ليوفر لنفسه الحماية من الذباب، يتلخص هذا النظام في أنه كان يدهن عبيده بالعسل؛ لتنجذب الحشرات إليهم، فينعم هو بالراحة!

ولم يكتفِ بذلك، وإنما كان يحب اللهو بدمى حقيقية، ولعب بشرية، عبارة عن أقزام كان يحضرها له قائد حملاته إلى الجنوب حرخوف، وهو ما يذكره حرخوف بنفسه؛ إذ أحضر للملك بيبي الثاني وهو في العام الثاني من حكمه، الثامن من عمره قزمًا، ففرح الملك الصغير فرحًا شديدًا بتلك اللعبة الحيَّة،

وكان المصريون القدماء يُسَرُّون بالأقزام سرورًا عظيمًا؛ إذ يقوم بالرقص المقدس، ويسرِّي عن القلب، ويسرُّ فؤاد ملك الوجه القبلي والوجه البحري، على حد تعبير حرخوف نفسه الذي سجَّل ذلك في خطابه الملكي، وقد ذكر سليم حسن جانبًا من ذلك الخطاب في موسوعته.

رمضانيات

وحوي يا وحوي: مع غروب شمس الأسرة السابعة عشرة بموت سقنن رع ومن بعده ابنه كاموس، وشروق شمس جديدة للأسرة الثامنة عشرة بدءًا من أحمس ابن سقنن رع والأخ الأصغر لكاموس[1]، كان العامل المشترك بين الأسرتين زوجة وفية مخلصة في حالة سقنن رع، وأم مؤمنة بأبنائها في حالة كاموس ثم أحمس، وقبل هذا كله مصرية وطنية مخلصة لبلادها، مؤمنة بحق وطنها في الخلاص من عدوٍّ جثم على صدره طيلة قرنٍ ونصف من الزمان، هذه المرأة هي الملكة إياح حتب.

ولم تكن إياح حتب تكتفي بدفع زوجها ثم ابنيها إلى ساحات القتال، وإنما كانت تخرج بنفسها إلى المصريين لتبشرهم بما تحقق من الانتصارات، فكانت بالنسبة للمصريين

[1] - رغم كونهم أسرة واحدة إلا أنَّ مانيتون السمنودي رأى استحقاق أحمس أن يكون على رأس أسرة جديدة بعدما حرَّر مصر من حكم الهكسوس بعد احتلالٍ دام لقرن ونصف تقريبًا.

مصدرًا للبشرى، لذلك كان المصريون يستقبلونها دائمًا وهم ينشدون لها: وحوي وحوي إيَّاحة.

أمَّا وحوي وحوي فمعناها مرحبًا مرحبًا، وأمَّا إيَّاحة فهي من قبيل التدليل للملكة إياح، ولأن اسم إياح حتب يعني قمر الزمان، فقد صارت هذه الأنشودة تُقال عند استقبال شهرٍ جديد، وقمرٍ جديد، ولأن أهمَّ قمرٍ يستقبله المصريون —بعد الإسلام– هو قمر رمضان، فقد ارتبطت الأنشودة بقدوم هذا الشهر الفضيل.

الفانوس: في الخامس من شهر رمضان لعام 358هـ كان الخليفة الفاطمي المعز لدين الله قادمًا من المغرب إلى مصر، وقد وافق قدومه الليل، فخرج الناس لاستقباله حاملين المشاعل والفوانيس؛ بغرض إضاءة الطريق له، لكنه ظنَّ ذلك تقليدًا خاصًّا بشهر رمضان، ونال الأمر استحسان الخليفة الفاطمي، فاستمرت الفوانيس بعد ذلك من التقاليد الرمضانية.

المدفع: مع غروب شمس أول يومٍ في شهر رمضان لعام 865هـ كان الخليفة المملوكي خشقدم يجرِّب مدفعًا جديدًا أُهدي إليه، فلمَّا كان إطلاقه يصادف وقت الغروب، ظنَّ المصريون أنَّ الخليفة قد ابتكر وسيلةً جديدة لتنبيههم بموعد الإفطار، فذهبوا إليه يشكرونه على ذلك، فلمَّا رأى الخليفة سرورهم به قرر المداومة عليه.

أم علي: بعدما تخلصت أم علي أرملة عز الدين أيبك الأولى، من شجر الدر أرملته الثانية وقاتلته، أرادت الاحتفال بثأرها لزوجها الراحل، فأعدت أطباقًا من الحلوى مزجت فيها رقائق الخبز بالسمن واللبن وغيره، ثم تمَّ توزيعها على الناس، وكان الناس يتساءلون ما هذا؟ فكان الخدم يقولون هذه حلوى أم علي؛ أي مقدمة من السيدة أم علي، فاشتُهرت بهذا الاسم.

حتى أنت يا صديقي

في فاقوس، أو الصالحية كما كانت تُسمَّى وقتها، وبعد أقل من خمسين يومًا على قضائه على التتار، كان الملك المظفر سيف الدين قطز على موعد مع مفاجأة دبرها له صديقه بيبرس، مع بقية المماليك البحرية، وقد رواها ابن خلدون في تاريخه كالتالي: كان البحرية[1] من حين مقتل أميرهم أقطاي الجامدار[2] يتحيَّنون لأخذ ثأره، وكان قطز هو الّذي تولى قتله، فكان مستريبًا بهم[3]، ولما سار إلى التتر ذُهل كل منهم عن شأنه، وجاء البحرية من القفر هاربين من المغيث صاحب الكرك، فوثَّقوا لأنفسهم من السلطان قطز أحوج ما كان إلى أمثالهم من المدافعة عن الإسلام وأهله، فأمنهم واشتمل عليهم[4]، وشهدوا معه واقعة التتر على عين جالوت وأبلغوا

---

[1] - مصطلح يطلق على المماليك الذين كانت دورهم تحيط بقصر الروضة مما يلي النيل.
[2] - الجامدار هو المسئول عن ملابس الملك، وكانت هذه من وظائف أقطاي للملك نجم الدين أيوب.
[3] - أي يشك في ولائهم.
[4] - أي ضمهم إلى جنده وحاشيته.

فيهـا[1]، والمقـدّمون فـيهم يومئـذ: بيـبرس البندقـداري، وأنـز الأصبهاني، وبلبان الرشيديّ، وبكتون الجوكنداري، وبند وغار التركي، فلما انهزم التتر من الشام واستولوا عليه وحسر ذلك المد[2]، وأفرج عن الخائفين الروع، عاد هؤلاء البحرية إلى ديدنهم من الترصد لثار أقطاي، فلما قفل قطز من دمشق سنة ثمان وخمسين[3]، أجمعوا أن يبرزوا به في طريقهم، فلما قارب مصر ذهب في بعض أيامه يتصيد، وسارت الرواحل على الطريق فاتبعوه، وتقدّم إليه أنز شفيعًا في بعض أصحابه، فشفعه فأهوى يقبل يده فأمسكها، وعلاه بيبرس بالسيف فخرّ صريعًا لليدين والفم، ورشقه الآخرون بالسهام فقتلوه، وتبادروا إلى المخيم وقام دون فارس الدين أقطاي[4] علي بن المعز أيبك وسأل: من تولى قتله منكم؟ فقالوا: بيبرس، فبايع له وأتبعه أهل المعسكر، ولقبوه الظاهر وبعثوا أيدمر الحلي بالخبر إلى

---

[1] - أي أبلوا بلاء حسنًا.
[2] - يقصد المد التتاري على بلاد المسلين.
[3] - يقصد ثمان وخمسين بعد الستمائة 658هـ.
[4] - أقطاي المستعرب وكان كبير أتابك قطز، وهو غير أقطاي الجمدار منافس أيبك.

القلعة بمصر، فأخذ له البيعة على من هناك ووصل الظاهر منتصف ذي القعدة من السنة فجلس على كرسيه واستخلف الناس على طبقاتهم وكتب إلى الأقطار بذلك ورتب الوظائف وولى الأمراء!

انتهت رواية ابن خلدون، وما انتهت رواية الغدر والخيانة، بدمٍ باردٍ يخطط ويدبر وينفذ ويقتل صديقه وهو في أوج انتصاره، وبدمٍ باردٍ يواصل الحياة ويستولي على عرشه ويجلس محله، يعزل من يشاء ويولِّي من يشاء، ولم يكن بيبرس أول ولا آخر من استحلَّ الدم للوصول للعرش، وضحَّى بأقرب الناس طمعًا في سلطةٍ فانية، ومنصب زائل.

ليس الخال والدًا دائمًا

بعد الوفاة المفاجئة لبطليموس الخامس، كان ابنه بطليموس السادس صاحب الأربع سنوات هو الحاكم من بعده، تحت وصاية أمه كليوباترا الأولى ذات الأصول السورية.

ورغم أنَّ أنتيوكس الرابع حاكم سورية هو أخو كليوباترا الأولى، إلا أنَّ ذلك لم يمنعه من محاولة الوثوب على مصر، ولكن منعه تهديد أخته بالاستعانة بروما.

لكن انشغال روما بحروبها مع مملكة مقدونيا، فضلًا عن وفاة كليوباترا الأولى مهَّد الطريق لأنتيوكس، وفتح له باب مصر على مصراعيه، فأسرع باحتلالها وأخذ ابن أخته أسيرًا!

وبعدها أجبره على التوقيع على اتفاقية تصب كلها في صالح الخال الماكر، لكن ثورات أهل الإسكندرية أطاحت بأنتيوكس، كما تدخَّلت روما وأعادت بطليموس لحكم مصر من جديد، وقدَّمت له الحماية من خاله الذي لم يكن له والدًا أبدًا!

تسقط الديموقراطيت

بعد نجاح ثورة 23 يوليو 1952 في إقصاء الملك فاروق عن عرش مصر، ثم نجاحها في خلع ثوب الملكية عن مصر إلى الأبد، تم تعيين اللواء أركان حرب محمد نجيب كأول رئيس لمصر بعد إعلان النظام الجمهوري 18 يونيو 1953.

لم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى بدأت الخلافات تنشب بين الرئيس وبين مجلس قيادة الثورة، ويروي نجيب بنفسه في كتابه: كنت رئيسًا لمصر بداية الخلافات فيقول: وكان أول خلافٍ بيننا في تلك الفترة حول محكمة الثورة؛ لأننا سنكون كما قلت خصمًا وحكمًا في نفس الوقت، ويروي أيضًا خلافه معهم حول محاكمة واعتقال بعض الشخصيات التي رأوا أنها خطرًا على الأمن العام: قدَّم جمال عبد الناصر لمجلس الثورة بصفته وزيرًا للداخلية كشفًا بأسماء بعض الزعماء السياسيين الذين رأى أنهم خطر على النظام، ورأى أنه من الضروري اعتقالهم، وكان من بينهم مصطفى النحَّاس، الذي طلب تحديد إقامته

ورفضت، ووافقني المجلس على رفضي، وشطب اسمه من الكشف، ووقعت الكشف، لكني فوجئت بأنهم أعادوه للكشف بعد توقيعي، واعتبرت ذلك تزويرًا لا يمكن السكوت عليه، وطلبت شطب النحاس من جديد، فقال جمال عبد الناصر: إن شطب اسم النحاس بعد نشر الكشف في الصحف يزيد الموقف بلبلة.

كما تحدَّث عن قرارات المجلس التي أثرت بالسلب على الثورة: فقد شملت هذه القرارات الكثير من فئات الشعب، وزادت من حجم أعدائنا، وضاعفت من كراهية الناس لنا، خاصة قرارات محكمة الثورة التي حكمت بمصادرة 322 فدانًا من أملاك زينب هانم الوكيل حرم النحاس باشا، وحكمت على الدكتور أحمد النقيب، وعلى سائق الملك فاروق، وعلى كامل القاديش محافظ القاهرة الأسبق بالسجن 15 عامًا، وحكمت على أربعة من الصحافيين، منهم أبو الخير نجيب صاحب جريدة الجمهور المصري، ومحمود أبو الفتح صاحب

جريدة المصري بالمؤبد، وبمصادرة صحفهم بتهمة إفساد الحياة السياسية.

وكذلك يروي الكارثة الكبرى في نظره: لقد خرج الجيش من الثكنات، وانتشر في كل المصالح والوزارات المدنية، فوقعت الكارثة التي لانزال نعاني منها إلى الآن في مصر، ويستأنف: وما لا شك فيه أن جمال عبد الناصر كان أكبر مركز قوة داخل المجلس، وعندما ساعده الآخرون في التخلص مني، استدار إليهم وتخلص منهم واحدًا بعد الآخر، وقوة عبد الناصر في شخصيته، وشخصيته من النوع الذي يتكيَّف ويتغيَّر حسب الظروف، فهو مرة مع الشيوعيين ومرة مع الإخوان، وعشرات المرات ضد الجميع ومع نفسه، لقد خلَّصتهم من فاروق، وخلَّصهم سليمان حافظ من كبار السياسيين والأحزاب، وخلَّصهم يوسف صديق من نفسه، وخلصهم ضباط المدفعية من عبدالمنعم أمين، وخلصهم ضباط الفرسان من خالد محيي الدين، وتخلصوا مني، ثم تخلص

عبدالناصر من أغلبهم، وبقي هو وعبدالحكيم عامر وأنور السادات وحسين الشافعي، أما هو وعامر فقد تخلص منهما اليهود في حرب يونيو 1967، وتخلص حسين الشافعي من متاعبهم وبقي في بيته، ولم يبق من ضباط الثورة سوى أنور السادات الذي كان يعرف بدهاء الفلاح المصري كيف يتجنب الأهواء والعواصف، وكان يقول على كل شيء (صح)، وكانت هذه الكلمة لا تعني أنه موافق أو غير موافق، دائمًا كانت تعني أنه يفكر وينتظر الفرصة، هذا هو أسرع ملخص لسيناريو الثورة.

ويروي أحمد حمروش في الجزء الأول من كتابه قصة ثورة 23 يوليو: كان الخلاف على تعيين عبد الحكيم عامر نقطة تحول بالنسبة لنجيب حيث وجد أن مقاليد السلطة بدأت تتجمع في يد بعض الشخصيات وأصبحت تتمتع بنفوذ وقوة كبيرة، مما جعله يفكر في إرساء الحياة المدنية مرة أخرى وإنهاء سيطرة الجيش على الحكم.

وكانت هذه بداية النهاية؛ إذ كانت الخلافات بين محمد نجيب ومن حوله قد صارت خلافًا واحدًا جوهريًّا، أو يمكنك أن تقول صراعًا بين اتجاهين متخالفين، فالرئيس يريد إقامة حياة ديموقراطية سليمة، تنفيذًا للمبدأ الذي أقرته الثورة، ومن حوله يريدون تكريس فكرة الحكم الفردي، وإلغاء الأحزاب ومصادرة الحريات وفرض الرقابة على الصحف.

حتى وصل الأمر لاستقالة محمد نجيب في فبراير 1954، مع التحفظ على ذكر الأسباب، فأصدر مجلس الثورة بيانًا ذكروا فيه أن نجيب أراد سلطات أعلى، وأنه اختير قائدًا للثورة قبل قيامها بشهرين فقط، وأنه علم بقيامها ليلتها فقط، لكن كل هذا لم يثنِ الشعب عن التظاهر رافضين الاستقالة ومطالبين بعودة نجيب.

عاد نجيب لكنَّ البعض كان يدبِّر للتخلص منه، ففي 28 مارس 1954 خرجت مظاهرات حاشدة، تُعدُّ أغرب مظاهرات في تاريخ مصر، بل في التاريخ على إطلاقه، إذ كان

الهُتاف الذي يخرج من تلك الحناجر الهادرة: تسقط الديموقراطية، تسقط الحرية!

وتفصيل ذلك أنَّ محمد نجيب قرر السماح بقيام الأحزاب، وانتخاب لجنة تأسيسية انتخابًا حرًّا مباشرًا، ومنحها سلطة البرلمان كاملةً، فضلًا عن حلِّ مجلس قيادة الثورة خلال أشهر قليلة، بعدما حققت الثورة أهدافها، فتم تدبير مظاهرات عمالية اشترك فيها صاوي أحمد صاوي رئيس اتحاد عمال النقل ودفع العمال إلى عمل إضراب يشل الحياة وحركة المواصلات، وشاركهم فيها عدد كبير من النقابات العمالية وخرج المتظاهرون يهتفون: تسقط الديمقراطية تسقط الحرية، وقد اعترف الصاوي بأنه حصل علي مبلغ 4 آلاف جنيه مقابل تدبير هذه المظاهرات، كما يروي أحمد حمروش في كتابه قصة ثورة 23 يوليو.

ولم تكن رواية حمروش هي الرواية الوحيدة، ولا اعتراف صاوي هو الاعتراف الوحيد، يروي خالد محيي الدين عن

زيارته لعبد الناصر وحديثه معه في كتابه الآن أتكلم: وبدأنا نتحدث عما كان، وقال بصراحة —ولم يعد يخشى من التصارح- إنه رتَّب أحداث مارس، وتحديدًا إضراب عمال النقل، وما لحق به من إضرابات ومظاهرات عمالية، وقال إنه فعلها ردًّا على اجتماعات الميس الأخضر في سلاح الفرسان، وقال ببساطة إن ترتيب هذه الأحداث كلفه أربعة آلاف جنيه!

حريات الضباط الأحرار

والقصة كاملةً بلسان محمد نجيب كما سجلها في كتابه كنت رئيسًا لمصر:

ولأنني لا أريد التشهير بأحد، ولأنني لا أحمل في صدري أي حقدٍ أو كراهيةٍ أو بغضٍ أو ضغينةٍ لأحدٍ منهم، ولأنني أقول هذا الكلام وأنا على بُعد سنتيمترات قليلة من لقاء ربِّي، فإنني سأتعرض لبعض الوقائع والانحرافات التي نتجت عن استيلاء الضباط على السلطة، دون أسماء ولا تواريخ محددة، وقد لا يحب التاريخ عدم فضح الأشخاص، لكنَّ الإنسانية بالتأكيد معي في ذلك.

إنَّ أوَّل شيءٍ فعله ضباط القيادة بعد أن استقرت الأمور هو أنهم غيروا سياراتهم الجيب، وركبوا سيارات الصالون الفاخرة، للتمييز بينهم وبين باقي الضباط الأحرار.

وإمعانًا في التمييز بين ضباط القيادة وباقي الضباط الأحرار، أوحى جمال عبد الناصر لمصطفى أمين بكتابة مقال

بعنوان: سر الضباط التسعة، نُشرت هذه المقالة في جريدة الأخبار في سبتمبر 1952 في الصفحة الأولى بجانب صورة كبيرة لجمال عبد الناصر، ومع بقية المقال في الصفحة الثالثة نشرت صور باقي ضباط القيادة من أعضاء المجلس، وفي هذه المقالة طلب جمال عبد الناصر من مصطفى أمين أن يوحي للقارئ بأنه بطل الثورة ورئيسها الذي يختفي في الظل.. وأنا لم أهتم بهذا الكلام، لكن الذي اهتم به باقي الضباط الأحرار، الذين غضبوا من نشره، خاصةً وأن هناك اتفاقًا قديمًا فيما بينهم بعدم نشر صورهم في الجرائد، ورفض الدعاية وإنكار الذات.

وأثارت مقالة مصطفى أمين الفتنة بين صفوف الضباط الأحرار، وحرضت بعضًا منهم على التمرد والانقلاب، كما حدث مع ضباط المدفعية، وكان ضباط المدفعية قد بدأوا في رصد انحرافات ضباط القيادة، كانت فضائحهم في الحقيقة كثيرة، فقد ترك أحدهم شقته المتواضعة، واستولى على قصر

من قصور الأمراء في جاردن سيتي؛ حتى يكون قريبًا من إحدى الأميرات التي كان قصرها قريبًا من ذلك القصر الذي استولى عليه، وكان لا يتورَّع أن يهجم على قصرها بعد منتصف الليل، وهو في حالة إغماء بسبب الخمر، وكثيرًا ما طلبتني الأميرة في الفجر لإنقاذها من ذلك الضابط، الذي تصوَّر —على حد تعبيرها– أنه ملكٌ جديد.

وعندما حاولت أن أثنيه عما يفعل، قال: إننا نسترد جزءًا مما دفعناه لسنوات طويلة، وللأسف كان بعض زملائه يضحكون!

وترك ضابط آخر من ضباط القيادة الحبل على الغارب لزوجته، التي كانت تعرف كل ما يدور في مجلس القيادة، وكانت تستغله لصالحها وصالحه، وكانت تتباهى بنفوذها، وكانت تقول علنًا: الجيش في يميني والبوليس في يساري، وكان إيجار شقتها 50 جنيهًا، في وقت كان ذلك المبلغ يساوي إيجار بيتي في عامين!

وفاحت رائحة ثالث، كان يجري وراء ناهد رشاد زوجة الطبيب بحري يوسف رشاد، طبيب الملك فاروق الخاص، الذي كوَّن الحرس الحديدي، وانتشرت هذه الفضائح وغيرها لضباط القيادة.

وصدمت هذه الفضائح باقي الضباط الأحرار الذين كانوا يتصفون بالمثالية، ولا يرون في الحياة سوى اللونين الأبيض والأسود، فحمل بعضهم هذه الفضائخ وواجهوا بها ضباط القيادة، لكنهم لم يسمعوهم، أو سمعوهم وقرروا التخلص منهم، وهو ما حدث فعلًا مع ضباط المدفعية، ومع غيرهم.

وكان لابد حتى يتخلَّص ضباط القيادة من أصوات المعارضين التي تواجههم أن يلفقوا لهم التهم المناسبة للقضاء عليهم، وتطوَّر أسلوب التلفيق من تحضير شهود الزور، كما في قضية المدفعية، إلى العنف والقسوة في معاملة المعارضين لهم داخل السجون؛ حتى يعترفوا بجريمة لم يرتكبوها، كما حدث مع حسني الدمنهوري.

وفي كل الحالات كان ضباط القيادة هم الخصم والحكم، كما قلت من قبل.

وكلما كان أحد المعارضين يسقط أو يضيع أو يختفي وراء الشمس، كان ضباط القيادة يزدادون قوة وعنفًا وديكتاتورية، وإذا زادت قوتهم زادت مخالبهم، وإذا زاد عنفهم زادت أنيابهم، وإذا زادت ديكتاتوريتهم زاد انحرافهم، وهكذا إلى أن أصبحوا أباطرة وجلادين.

وذات صباحٍ لا أنساه وقعت مفاجأة مذهلة لا أنساها حتى اليوم..

كنا أنا وجمال عبد الناصر نركب سيارة ونتجه إلى نادي الضباط في الزمالك؛ لنهنئ الضباط بعيد الأضحى، فهمس لي عبد الناصر، وقال: إني أود أن أعرض عليك أمرًا ناقشته مع بعض الزملاء، وانتبهت له وأعطيته كل حواسي، فقال: أعتقد إنَّ ظروفنا الآن تفرض علينا أن ننظر إلى مستقبلنا، ومستقبل

الثورة، ونحن محاطون بالعواصف والأعداء، ولا نعرف مصيرنا معها.

قلت له: ماذا تقصد بالضبط؟

قال: لقد اتخذنا قرارًا أرجو أن توافقنا عليه، وهو أن يأخذ كل عضوٍ من أعضاء مجلس القيادة مبلغ عشرة آلاف جنيه، وتأخذ أنت أربعة عشر ألفًا، فيكون المجموع 134 ألف جنيه، وقد طلبت من زكريا محيي الدين أن يحجزهم من النقود الجديدة.

أحسست ساعتها بالغيظ، وغلى الدم في عروقي، وارتفع ضغطه في رأسي، ولم أحتمل الحديث، فصرخت فيه: اسكت، اسكت، وأخذت أعنفه بشدة، وأهاجمه على استباحة أموال الشعب لنا، ورفضت أن يخلط بين أموال الناس وجيوبنا الخاصة، وكدت أن أطلب منه أن ينزل من السيارة، فإذا به يضحك ضحكة عصبية، ويرد عليَّ وهو مرتبك: أنا كنت

متأكد إنك حترد بالشكل ده! وبعد أن تماسك وملك نفسه، قال: صدقني أنا كنت بامتحنك!

ولم أصدق بالطبع، ولكني بدأت أعيد النظر في تصرفاته، وفي تصرفات زملائه، وما حدث من عبد الناصر حدث بصورة أو أخرى من باقي الزملاء في المجلس، ففي مرة ذهبت لزيارة أحد أعضاء مجلس القيادة في منزله، فوجدت عنده فنانًا يصنع له تمثالًا، يكلفه 200 جنيه، وكنت أعرف أن حالته المالية لا تسمح بذلك، فلفتُّ نظره لما يفعله، وخرجت غاضبًا من بيته الذي أقسمت ألا أدخله مرة أخرى.

وفي مرة أخرى عرفت أن ضابطًا خسر على مائدة القمار مئات الجنيهات في ليلة واحدة، وكان هذا الحادث وراء قراري بتحريم الميسر في المحلات العامة والخاصة، ووراء قراري بتحريم مضاربات البورصة على الموظفين العموميين.

ولاحظت مرة ثالثة ونحن نتناول طعام العشاء في مجلس القيادة أن بعض أدوات المائدة كانت من الفضة، ومنقوش

عليها عبارة: القصور الملكية، فرفضت أن آكل، وأمرت بإعادة هذه الأدوات إلى مكانها الأصلي، وقررت إبعاد ضابط الشئون الإدارية الذي ارتكب هذه الجريمة في حقنا.

وعلى الفور سارعت برفض قبول الهدايا الشخصية، وأمرت بتحويلها إلى المتحف الحربي، أو إلى رئاسة الجمهورية، أردت أن أعطي درسًا للآخرين، لكن لا أحد منهم كان في وضعٍ يسمح له أن يرى أو يسمع أو يفهم، كانوا لا يرون أمامهم إلا الحكم والنفوذ والسيطرة، واللعب بأقدار البلد ومصائر أهلها، ومع ذلك لم تكن لهم أي خبرة في ذلك، ولم يحاولوا أن يتعلموا، أو جربوا في الشعب، أو تصوروا أن أساليبهم في القيادة هي نظريات جديدة في تسيير البلد!

في يوم عرفت أن مجلس القيادة اجتمع اجتماعًا عاجلًا وسريعًا، حتى إنهم من شدة الأهمية ومن ضرورة السرعة لم يستدعوني، وكان الموضوع الذي سيناقشونه هو: تحديد سعر الطماطم في السوق!

أبناء الرئيس

أمَّا الرئيس فهو أول رئيس بعد إعلان الجمهورية، محمد نجيب، والذي وضعته الثورة على عرش مصر، ثم جرده الضباط الأحرار من كلِّ شيء، فشطبوا اسمه من الوثائق والسجلات والكتب، ومنعوا ظهوره أو ظهور اسمه طوال ثلاثين عامًا، حتى إن الكتب كانت تشير إلى أن جمال عبد الناصر هو أول رئيس لمصر!

الأمر الذي تغير أواخر الثمانينات، فعاد اسمه للظهور من جديد، وأعيدت الأوسمة إلى أسرته.

أمَّا أبناؤه فهم سميحة وفاروق وعلي ويوسف، توفيت سميحة وهي في السنة النهائية بكلية الحقوق 1950 متأثرة بمرض السرطان.

أمَّا علي فكان يدرس في ألمانيا وكان له نشاط واسع ضد الأنشطة الصهيونية هناك، كان يقيم المهرجانات التي يدافع فيها عن مصر والثورة وعن حق الفلسطينيين، ولم يعجبهم هذا

الكلام، وفي ليلة كان يوصل زميلًا له، فإذا بعربة جيب بها ثلاثة رجال وامرأة تهجم عليه وتحاول قتله، وعندما هرب طاردته السيارة حتى أمسكوا به وأخذوا يضربونه حتي خارت قواه ونزف حتى الموت، ونقل جثمانه إلى مصر فطلب اللواء نجيب أن يخرج من معتقله ليستقبل نعش ابنه ويشارك في دفنه لكنهم رفضوا، كان هذا في عام 1968.

ولم يسلم فاروق الابن الآخر لنجيب، فقد استفزه أحد المخبرين وراح يسخر من والده، فضربه، فدخل ليمان طرة وبقي هناك خمسة أشهر ونصف، ثم خرج منه محطمًا مريضًا، ثم مات بعدها بفترة قريبة.

أمَّا يوسف فيقول عنه جمال حمَّاد أحد الضباط الأحرار ومؤرخ ثورة يوليو إنه كان يعمل في شركة المقاولون العرب بالإسكندرية، لكنه فُصل منها بقرار من عبد الناصر، فلمَّا لم يجد عملًا عمل سائقًا لسيارة أجرة (تاكسي)!

وكل هذا رواه نجيب في كتابه كنت رئيسًا لمصر.

ويقول واصفًا عذابه وعذاب أبنائه: لقد تعذب أولادي كما تعذبت أنا، تعذبنا جميعًا داخل معتقل المرج، كان ممنوعًا علينا لسنوات أن نستقبل أحدًا، وبعد سنوات طويلة سمحوا لنا بذلك، لكن على شرط أن يجلس معنا ضابط ليسجل كل ما يقال، وكانت إحدى نقاط الحراسة تقع على السطح، وكان لابد للجنود والضباط ليصلوا إليها أن يمروا بحجرة نومي!!

وكان من الطبيعي ومن المعتاد أن يُفزع الجنود أفراد أسرتي بإطلاق الرصاص في الهواء، في منتصف الفجر، وفي الفجر، وفي أي وقت يتصورن أنه مناسب لراحتنا!

وكانوا يؤخرون عربة نقل الأولاد إلي المدرسة فيصلون إليهم متأخرين، ولا تصل العربة إليهم في المدرسة إلا بعد مدة طويلة من انصراف كل من في المدرسة فيعودون إلي المنزل مرهقين غير قادرين علي المذاكرة، وكل ما يفعلونه هو أن يأكلوا وينام.

كان علي من في البيت ألا يخرج منه من الغروب إلي الشروق، وكان علينا أن نغلق النوافذ في عز الصيف؛ تجنبًا للصداع الذي يسببه عمدًا الجنود والضباط، وجحافل الناموس التي تملأ المنطقة، كانت نسمة الهواء ليلًا في الصيف محرمة علينا، ولم تفلح الشكوى التي اضطررت إليها بسبب الأولاد، إلي عبدالحكيم عامر وإلي غيره.

ولم يكن أبناء محمد نجيب فقط هم من لاقوا هذا المصير، إذ سبقهم إليه أبناء الزعيم أحمد عرابي الذي جرده الخديوي من أملاكه بعدما نفاه، فلم يجد أبناؤه ولا أحفاده ما يسدون به رمقهم، فاشتغلوا بالأشغال البسيطة، حتى إن منهم من عمل ببيع الفول والفلافل، ومنهم من عمل ميكانيكي سيارات!

زفة الكسوة

كانت مصر حتى عهدٍ قريبٍ هي المنوطة بتجهيز كسوة الكعبة، ومنذ عهد شجر الدر والمماليك والكسوة تُرسل في محمل، وهو مصطلح يُطلق على الموكب الذي كان يخرج من مصر كل عامٍ حاملًا كسوة الكعبة.

وكان المحمل يطوف القاهرة ثلاثة أيام مصحوبًا بالطبول والمزامير وغيرها من مظاهر الاحتفال، ثم بعد ذلك ينطلق إلى مكة على الهيئة نفسها.

حتى إنه في عام 1221هـ وقعت حادثة شهيرة، حينما التقى الإمام سعود الكبير بأمير المحمل المصري وأنكر عليه البدع التي تصحب المحمل من زمرٍ وطبلٍ وخلافه وحذَّره من المجيء ثانيةً بهذه الصورة، كما أرسل رسالة إلى السلطان العثماني سليم الثالث جاء فيها: إني دخلت مكة، وأمنت أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد أن هدمت ما هنالك من أشباه الوثنية وألغيت الضرائب، فعليك أن تمنع والي دمشق

ووالي القاهرة من المجيء إلى هذا البلد المقدس بالمحمل والطبول والزمور فإن ذلك ليس من الدين في شيء.

فامتنعت مصر عن إرسال الكسوة ست سنوات من عام 1222هـ حتى عام 1228هـ حينما انتصر محمد على وعادت مكة تحت الخلافة العثمانية، وعاد المحمل يدخل مكة بالزفة والطبل والزمر!

وقد تكررت الحوادث المشابهة أكثر من مرة، أشهرها 1344هـ، حينما تقاتل الإخوان النجديون -وهم فرقة عسكرية وهابية تابعة لآل سعود- مع العسكر المصريين المسئولين عن المحمل المصري بسبب الطبل والزمر أيضًا!

سب الدين = براءة

وقف وكيل النيابة يترافع أمام هيئة المحكمة الموقرة، لم يترك لمحامي الدفاع ثغرة ينفذ منها، المتهم مدان بلا شك، مسلم سبَّ الدين لمسيحي، والشهود يؤكدون الوقعة، وكان أغلبهم مسلمين.

لكن محامي الدفاع لم يكن محاميًا عاديًّا، إنما كان نقيبًا للمحامين، وهو من ترافع عن العقاد يوم اتُّهم بسب الذات الملكية، إنه المحامي الكبير مكرم عبيد.

بدأ المحامي الشهير مرافعته عن المتهم بتذكير القاضي بأن الأصل التشريعي للقوانين في مصر هو الدين الإسلامي، ثم تلا قوله تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الْإِسْلَامُ، وتفسير ذلك أن غير الإسلام لا يُعدُّ دينًا، وبالتالي فالمتهم لم يسب دينًا؛ لأن غير الإسلام ليس دينًا، وبالتالي فالمتهم بريء!

لم يملك القاضي نفسه من الدهشة، ولم يكن مرجع تلك الدهشة فصاحة المحامي ولا بلاغته، ولا قدرته على إنقاذ

موكله رغم ثبوت التهمة عليه، وإنما كانت الدهشة كلها مرجعها أن مكرم عبيد مسيحي!

سأل القاضي المحامي: هل أنت مؤمنٌ بما تقول؟ فردَّ مكرم عبيد: أنا مؤمن بما أنت مؤمنٌ به: لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ، فضجت المحكمة بالضحك لرد مكرم عبيد، وأصدر القاضي حكمه على المتهم بالبراءة!

نهايات غريبة

لا تلعب بالأشياء الخطرة: كانت نهاية قمبيز بن قورش العظيم ملك الإخمينيين الفرس الذين احتلوا مصر نهاية غريبة نوعًا ما، لكن قبل أن نروي نهايته نروي جانبًا من أفعاله مع الملك المصري أبسماتيك الثالث..

يروي هيرودوت في الباب الثالث من تاريخه أن قمبيز أراد أن يختبر معدن أبسماتيك الذي لم يكن قد مضى على حكمه إلا ستة أشهر فقط، وكان قد أسر أبناءه، فأجبره على الجلوس في مكانٍ مشرف على النيل، ومعه بعض الأمراء والنبلاء، لرؤية مشهد أعدَّ خصيصًا لإذلالهم؛ فقد خرجت بنت أبسماتيك وبنات النبلاء في ملابس العبودية وهنَّ يحملن الأباريق لجلب الماء، ثم بدأ المشهد الثاني بخروج ألفي شاب من أبناء الأمراء والنبلاء وفيهم ابن أبسماتيك نفسه، والحبال حول رقابهم، واللجام في أفواههم، وهم متجهون لتنفيذ حكم الإعدام فيهم، وكان قمبيز قد حكم بإعدام عشرة من النبلاء

مقابل كل واحد قتل من رجاله على السفينة التي أرسلها إلى منف وحطمها له المصريون، ويبدو أن المشهد الثالث كان مفاجأة دبَّرها القدر، ولم يُعدّها قمبيز، إذ مرَّ شيخٌ كبير كان من أصحاب أبسماتيك، لكنه صار بلا مالٍ ولا ثروة، حتى إنه كان يتسوَّل من الجنود!

ويروي هيرودوت أيضًا أن قمبيز حضر احتفالًا للإله أبيس بالمصادفة، فاستهان بمعتقدات المصريين، وقلل من شأن آلهتهم، وضرب العجل أبيس بخنجره فأخطأ بطنه وأصاب فخذه، وقد مات العجل بعد ذلك متأثرًا بجرحه.

أمَّا قمبيز فنهايته كانت كنهاية العجل تمامًا؛ إذ كان يهم بركوب جواده فإذا به يجرح نفسه، إذ أصاب نصل سيفه المسموم فخذه، فكان سبب موته!

خرج ولم يعد: كعادته، خرج على حماره في الليل إلى جبل المقطم ليتدبر في خلق الله، لكنَّ في تلك الليلة بالتحديد لم يعد مرة أخرى، إنه الحاكم بأمر الله!

ومن الشعر ما قتل: كان أحمد بن محمد بن إسماعيل المصري المعروف بابن النحَّاس، من أعلام النحاة، وله مايزيد عن الخمسين مؤلفًا، منها: إعراب القرآن، ومعاني القرآن، والناسخ والمنسوخ، والكافي في النحو، والمقنع في مسائل الخلاف، وشرح المعلقات السبع، وشرح المفضليات، وشرح أبيات الكتاب، وغيرها.

يروي الفيروزآبادي في كتابه البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: وكان سبب موته أنه كان يقطِّع بحرًا من العروض على شاطئ النيل، فسمعه بعض العامة، فقال: هذا الشيخ يسحر النيل. فركله برجله فذهب في النيل، فكان آخر العهد به!

إدمان على القمار

زعيم الأمة: بعد عودته من منفاه أدمن سعد باشا زغلول شرب الخمر، ولعب القمار، وقد ذكر جانبًا من ذلك في مذكراته: كنتُ أتردد بعد عودتي من أوروبا على الكلوب، فملت إلى لعب الورق، ويظهر أن هذا الميل كان بداية المرض، فإني لم أقدر بعد ذلك أن أمنع نفسي من التردد على النادي ومن اللعب، وبعد أن كان بقليل أصبح بكثير من النقود وخسرت فيه مبلغًا طائلًا.

ويقول أيضًا: كنت قبل 12 سنة[1] أكره القمار وأحتقر المقامرين، وأرى أن اللهو من سفه[2] الأحلام[3] واللاعبين من المجانين، ثم رأيت نفسي لعبت وتهورت في اللعب، وأتى عليّ زمان لم أشتغل إلا به ولم أفتكر إلا فيه، ولم أعمل إلا له، ولم أعاشر إلا أهله، حتى خسرت فيه صحة وقوة ومالًا وثروة.

---

[1] - وكان قد كتب هذه اليومية عام 1913، فيقصد بذلك عام 1901.
[2] - طيش.
[3] - العقول.

وقد أشار في مذكراته إلى أن أحمد شوقي كان يأتيه ثملًا، وأن قاسم أمين كان رفيقًا له في لعب الورق، كما أشار إلى أن وفاة قاسم أمين كانت انتحارًا بسبب امرأة كان يحبها!

جلالة الملك: نفت الملكة فريدة في أكثر من مناسبة ما قيل عن الملك فاروق بخصوص فساده، وحبه للنساء، وعلاقاته غير المشروعة بالفنانات، لكنها لم تنكر شغفه بالقمار، الذي كان يضيِّع فيه وقتًا كبيرًا، حتى إنه يُروى أنه ظل يلعب في نادي السيارات في الإسكندرية ليلة العيد حتى أدركه الوقت، فما كان منه إلا أن غادر المائدة الخضراء رأسًا إلى المسجد لأداء صلاة العيد!

كما يروي الفنان عمر الشريف أنَّه عندما كان صغيرًا كان يرى الملك فاروق في منزلهم يلعب القمار مع والدته كلير شلهوب، وهو السبب الذي أفقد أسرته الكثير من أموالهم وثروتهم!

من سجلات الضرائب

عندما اقترب التتار من الديار المصرية، وصارت المواجهة معهم أمرًا محتومًا لا مناص منه، كان على سيف الدين قطز – وكان نائبًا للمنصور علي بن أيبك– أن يتجهَّز للمعركة، وكان الأمر يحتاج مالًا كثيرًا؛ ليكون الجيش مستعدًا لهذه المواجهة المصيرية، وعليه فقد قرر المظفر سيف الدين قطز فرض بعض الضرائب على عامة الشعب ليتمكن من تجهيز جيشه لغاية سامية، وهي الدفاع عن الإسلام وبلاد المسلمين.

لكن غاية سامية كتلك لم تكن كافية للشيخ عز الدين ابن عبد السلام؛ سلطان العلماء، وبائع الأمراء، ليقبل بالوسيلة التي وضعت لها، وهي تحصيل الضرائب من الشعب، وإنما كان له رأيٌ آخر، سكت عنه العلماء والمشايخ والقضاة، لكنه أبى إلا الجهر به، وعلى ومرأى ومسمعٍ من الجميع دون أن يخشى في الله لومة لائم، وقف مدافعًا عن البسطاء الذين خذلهم الجميع، وقف يقول ما نقل خلاصته ابن تغري بردي في

النجوم الزاهرة: إنّه إذا طرق العدوّ بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعيَّة ما تستعينون به على جهادكم، بشرط ألَّا يبقى في بيت المال شيء، وتبيعوا ما لكم من الحوائص[1] المذهبة والآلات النفيسة، ويقتصر كلُّ الجند على مركوبه وسلاحه ويتساووا هم والعامَّة، وأمّا أخذ الأموال من العامّة مع بقايا فى أيدى الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا!

وكان من نتيجة ما قاله أنَّ المنصور علي لصغر سنه لم يعرف ما يفعل، فخلعه قطز، وأعلن نفسه سلطانًا لحين انتهاء الحرب، وأقرَّ ما أفتى به ابن عبد السلام، فكانت النتيجة نصرًا مبينًا على أعداء الإسلام، فمن ينصر الله ينصره، وما أعظمها من عبرة!

[1] - الحزام، يكون للرجل أو للدابة.

الإعلام الملكي

البشرى العظمى: في العدد 1446 من جريدة الأهرام، الصادر بتاريخ 15 سبتمبر 1882كان العنوان الرئيس على الصفحة الأولى: البشرى العظمى، كُتب تحته: ورد تلغراف رسمي من الباسل الجنرال ولسلي[1] أن السواري الإنكليزية احتلت العاصمة أمس تحت قيادة نجل الملكة دون أدنى مقاومة، وإن الجنرال ولسلي يدخلها اليوم مع البيادة[2]، وورد تلغراف آخر إلى سمو خديوينا المعظم يؤيد الأول، وأن الجيش الإنكليزي قبض على العاصي عرابي، فتم إذن ما أعلنه الجنرال المذكور، وأثبتناه في أهرامنا من أنه يحتل مصر في 15 من سبتمبر.

وتحت عنوان آخر: التهنئة، كُتب: قُبض على عرابي وطلبة وحسن مظهر وإخوانهم، ابتسم ثغر مصر، واهتز عطفها طربًا،

---

[1] - قائد القوات الإنجليزية في معركة التل الكبير، الذي أدى انتصاره فيها على الجيش المصري إلى احتلال الإنجليز مصر مدة اثنين وسبعين عامًا.

[2] - كلمة تركية معناها فرقة المشاة، وتستخدم الآن كمصطلح يشير إلى الحذاء العسكري.

وتهللت القلوب ريثما اقتبلت البشرى بانقضاء الأزمة وفك المعضلة، فتبادل العالم التهاني، وعلى وجههم سمات البِشر والسرور ولسان الحال ينادي: بشراكِ يا مصر بشراكِ، قد نلتِ المنى ودخلت العساكر الإنكليزية باسم الحضرة الخديوية عاصمة بلادك فاحتلتها، وقبضت على عرابي وطلبة وإخوانهما، واستلمت القلعة وقصر النيل وسواهما من المراكز العسكرية، وتسنَّى لسمو خديويكِ المعظم أن يتم فيكِ مقاصده النبيلة الآيلة إلى نجاحكِ وترقيكِ وانفتحت لأبنائكِ أبواب العصر الجديد فادخلوها بسلامٍ آمنين، وارتع أيها الأمير في بحبوحة النصر والظفر، واهنأ، فإن لك من المهيمن عضدًا وعونًا، ومصر تناديك أنت روح البلاد، فيك حياتها، أطال الله بقاء سموك، وحفظ أنجالك الكرام.

وتحت عنوان ثالث: العاصي عرابي، كتبت الأهرام مستشهدةً بالقرآن: والذي خبُث لا يخرج إلا نكدًا، أين المفر أيها الباغي، وسيف العدل مسلول، بماذا تحتج الآن وأنت في

قبضة جيش الإنكليز الباسل، ماذا تقول في إحراقك الإسكندرية، وتخريب البلاد، يتَّمت بنيها، ورمَّلت نساءها، وأفسدت وكابرت، فالتاريخ يحفظ لك أيها اللئيم اسم السوء، فقت ظلمة الأجيال المتوحشة وأنت في عصر التمدن، فقامت الأمة المصرية بأسرها تطالب الآن بثأرها منك ومن إخوانك الطغاة، والعدل لا يبقي عليك ولا عليهم، كيف لا والعساكر أنفسهم نفروا منك وشتموك وسبوك وقد أخبرني بذلك معاين في موقعة التل الكبير.

تكاد جريدة الأهرام ومحررها المصري يتغنون بالاحتلال ويرقصون طربًا وفرحًا به، لا يهاجمون عرابي لأنه انهزم، أو لأنه كان سببًا في الاحتلال، إنما يهاجمونه لأنه تطاول على سمو خديوينا المعظم! لأنه طالب بحقوق الجيش والشعب! والأدهى من ذلك هو تهليلهم غير المفهوم وغير المبرَّر للجنرال الباسل الذي احتل مصر، بل إنَّ المحرر المفوَّه يقول للمحتل: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين!!

ثم يدعو المحتل أن يرتع في بلادنا، والله يؤيده! ولا يستحيي أن يتكلم بلسان مصر فيقول له أنت روح البلاد! ثم يلتفت إلى عرابي العاصي الباغي الخائن المتآمر، ويتوعده بسيف الإنجليز الذي يدفع ظلم عرابي بعدل الجيش الإنجليزي!! ولا ينسى أن يتوجَّه بالبشرى للشعب المصري العظيم بهذا الاحتلال الميمون!! ذلك الاحتلال الذي وافق مقاصد جناب الخديوي المعظَّم، وهو الاحتلال الذي يبلغ بمصر مبالغ النجاح، ويفتح لها أبواب عصرٍ جديدٍ!!

كيف بالنفاق يدفع هؤلاء وأمثالهم للاحتفال بالاحتلال، والاحتفاء بالمحتل، كيف يرتضون لأنفسهم بل ولأمتهم الذل والامتهان، والعيش تحت راية محتلٍّ غاصب، وليته كان غاصبًا، بل كان مدعوًّا لاحتلال بلادنا، مرحبًا به غاية الترحيب، كيف يسبُّون المدافع عن حقوقه وحقوق إخوانه وينسبون إليه الخزي والعار، وكيف يمتدحون الأجنبي الدخيل الذي جاء يستبيح بلادهم ويستحل حرمهم، بالمناسبة.. يبدو أن تلك عادة

عربية وليست مصرية فقط، فقد نشرت جريدة برقة الليبية خبرًا مماثلًا قالت في عنوانه بالخط العريض: القبض على عمر المختار زعيم العصاة في برقة!!

ثم تجد هؤلاء الشياطين يفوقون أئمة الكفر، ورءوس النفاق إذ تنعق ألسنتهم بآيات الذكر الحكيم استشهادًا على ما أرادوا من نفاقٍ، فتجده يقول للمحتل الإنجليزي: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، ويقول واصفًا عرابي: والذي خبُث لا يخرج إلا نكدًا!!

ولم تكن الأهرام وحدها هي من هاجمت عرابي بهذا الشكل، وإنما كان لأمير الشعراء نصيبٌ؛ إذ هجا عرابي في قصيدتين، يقول في مطلع إحداهما ساخرًا عند عودة عرابي من المنفى 1901:

أهلًا وسهلًا بحاميها وفاديها .. ومرحبًا وسلامًا يا عرابيها

وقد امتلأت هذه القصيدة بالألفاظ الساخرة اللاذعة، والكلمات الهاجية الموجعة، منها:

وانزل على الطائر الميمون ساحتَها

واجلس على تلِّها وانعق بواديها[1]

زعمت أنك أولى من أعِزَّتها .. بها وأحنى عليها من مواليها

بينما يقول في مطلع القصيدة الثانية:

صَغَارٌ[2] في الذهابِ وفي الإيابِ .. أهذا كلُّ شأنِكَ يا عُرابي؟

قواتنا تتوغل داخل إسرائيل: بتاريخ 6 يونيه 1967، وصبيحة النكسة، خرجت جريدة الأخبار بمجموعة من العناوين على الصفحة الأولى قالت فيها: أسقطنا 86 طائرة للعدو، قواتنا تتوغل داخل إسرائيل وتقضي على هجوم للعدو بالكونتلة[3] استُخدم فيه لواء مشاة ومجموعة كبيرة من الدبابات، قواتنا قضت على هجوم في أم قطف[4]، وأبادت قوات العدو تمامًا، بيانات إسرائيل تعترف بالخسائر الفادحة

---

[1] - الطائر الميمون قصد به الخديوي توفيق، وساحتها: قصد ساحة قصر عابدين، وتلَّها: عنى به التل الكبير، إشارة إلى المعركة التي انهزم فيها أمام الإنجليز، النعيق صوت البوم والغربان.

[2] - الصَغَار هو الذل والهوان.

[3] - قرية في شمال سيناء.

[4] - قرية تبعد عن حيفا 45 كم.

والتقدم العربي الجبار، القوات السعودية تدخل المعركة، الجزائر والكويت والسودان تعلن الحرب على إسرائيل، قوات الأردن تحتل جبل المكبر في القدس وتضرب 5 مستعمرات إسرائيلية، طيران العراق يقصف مواقع العدو ومنشآته داخل إسرائيل، والقوات البرية تتقدم، قاذفات القنابل السورية ضربت معامل التكرير في حيفا.

والواضح من عناوين الأخبار أن انتصارًا مصريًّا ساحقًا قد تحقق على الكيان الصهيوني الحقير، لكن الواقع لم يكن كذلك أبدًا، كان النصر حليف الكيان الصهيوني، لكن الاحتفالات كانت بمصر —بسبب تلك الأخبار- أكثر منها في تل أبيب، حتى انكشف زيف الأقلام، وظهرت حقيقة الرصاص، وصدق أبو تمام إذ قال: السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ!

لم يحدث أبدًا

ابن الأكرمين: عن أنس، قال: أتَى رجلٌ مِن أهل مصر إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين، عائذٌ بك من الظُّلم، قال: عذت معاذًا، قال: سابقتُ ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسَّوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين!

فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم بابنه معه.

فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب -أي يضرب ابن عمرو بن العاص-، فجعل يضربه بالسوط، ويقول عُمر: اضربْ ابن الأكرمين.

ثم قال للمصري: ضعه على صلعة عمرو، قال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا!! قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني.

وهذه القصة لا تصح، إسنادها ضعيف ويبدو فيه انقطاعًا.

رسالة إلى النيل: لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرو ابن العاص –حين دخل بؤنة من أشهر العجم– فقالوا: أيها الأمير، لنيلنا هذا سُنَّة لا يجري إلا بها، قال: وما ذاك؟ قالوا: إذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها في هذا النيل.

فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله. قال: فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى والنيل لا يجري قليلًا ولا كثيرًا، حتى هُمُّوا بالجلاء، فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك، فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذي فعلت، وإني قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابي، فألقها في النيل. فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد، فإن كنت إنما تجري من قِبلك ومن أمرك فلا تجرِ، فلا حاجة لنا فيك ، وإن كنت إنما تجري بأمر الله الواحد القهار، وهو الذي يجريك

فنسأل الله تعالى أن يجريك. قال: فألقى البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة، وقطع الله تلك السُّنَّة عن أهل مصر إلى اليوم.

وهذه أيضًا قصة لا تصح، وفي إسنادها ضعف، وفي رواتها مجاهيل ومناكير.

ما أنتم إلا عبيد إحساننا: كان الزعيم أحمد عرابي يمتطي حصانه في ساحة عابدين، والخديوي توفيق يقف على قدميه خائفًا، فعرض عرابي مطالب الجيش والشعب فرفضها الخديوي قائلًا: لا حق لكم في هذه المطالب، لقد ورثت هذه البلاد عن آبائي وأجدادي، وما أنتم إلا عبيد إحساننا، فردَّ عرابي ردَّه التاريخي الخالد: لقد خلقنا الله أحرارًا، ولسنا تراثًا أو عقارًا، ووالله الذي لا إله إلا هو إننا لن نورث ولن نُستعبد بعد اليوم!

ولا ننكر أن أحمد عرابي دخل ساحة قصر عابدين على ظهر جواده، ولا ننكر خوف الخديوي من نجاح الثورة عليه،

لكن الموقف بصورته تلك لم يحدث، والكلمات بصيغتها تلك لم تُقل، فلا عبد النديم خطيب الثورة نقلها، ولا الشيخ محمد عبده نقلها، والأهم من هؤلاء جميعهم، أحمد عرابي نفسه روى ما جرى في مذكراته فقال: فكتبت له[1] في 9 سبتمبر 1881 بأننا سنحضر بجميع العساكر الموجودين في القاهرة إلى ساحة عابدين لعرض طلباتنا على فخامة الحضرة الفخيمة الخديوية في الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم الجمعة الموافق 9 سبتمبر 1881، وكلَّفته عرض ذلك على الحضرة الخديوية ثم كتبت إلى جميع قناصل الدول بذلك، وأعلنتهم بحفظ جميع رعاياهم، فلا خوف عليهم ولا على أموالهم.

وفي الوقت المعين اجتمعت الآليات[2]؛ البيادة والسواري والطوبجية[3]، في رحبة عابدين، وكان ما هو مسطر في بطون التاريخ، وهو إسقاط الوزارة، وترتيب مجلس النواب، وإبلاغ

---

[1] - يقصد داود باشا يكن عديل الخديوي توفيق، والذي تم تعيينه ناظرًا للجهادية بدلًا من محمود سامي البارودي.

[2] - اللواءات، ويقصد الفرق العسكرية.

[3] - البيادة: المشاة، السواري: الفرسان والخيَّالة، الطوبجية: المدفعية.

الجيش إلى القدر المحدد[1] بالفرمان، وقد حيَّانا المرحوم الخديوي بإجابة تلك الطلبات العادلة.

الرجل في مذكراته لم يأتِ على ذكر شيءٍ مما أسهبت كتب التاريخ في ذكره، وقد أشار إلى الخديوي في غير مرة بألفاظ التعظيم والتكريم والاحترام، بلا تطاولٍ ولا تجاوز، ولم يذكر أن الخديوي قال إن المصريين ميراثٌ تركه له أجداده، ولا عبيدٌ يحسن إليهم.

فكم لاقى عرابي من تزييفٍ من منافقي الخديوي والإنجليز تارة، ومن الدولة العسكرية التي أرادت أن تجعله بطلاً؛ لكونه منتميًا للمؤسسة العسكرية تارة أخرى.

لكنه للحق بين تهوين هؤلاء وتهويل هؤلاء يبقى بطلًا خانته الظروف، أو لعله لم يقدرها جيدًا، إذ وقف وجهًا لوجهٍ أمام قوة من أكبر القوى العظمى حينها، في الوقت الذي تخلى عنه الجميع، فلله دره!

---

[1] - أي الوصول بعدد الجيش إلى القدر المتفق عليه.

يخت المحروسة

الخديوي إسماعيل: بخطى متثاقلة، وعينين تملؤهما الدموع، وقلبٍ تملؤه الهموم، ركب الخديوي إسماعيل يخت المحروسة مفارقًا مصر إلى الأبد، متجهًا إلى نابولي، ثم إلى الأستانة منفاه الأخير، كان اليخت يمخر عباب المتوسط، ومصر تبتعد عن عيني الخديوي شيئًا فشيئًا، حتى غابت عن عينيه تمامًا.. مازال لم يفهم ما جرى، فمنذ أيامٍ ثلاثٍ ولمدة ستة عشر عامًا كان يجلس على عرش مصر يأمر وينهى، فكيف انتهى به الحال معزولًا ومنفيًّا هكذا، لا يخفى عليه أن نزعته الاستقلالية، وأن ضغوطات قنصلي إنجلترا وفرنسا، هي من دفعت السلطان العثماني عبد الحميد الثاني إلى إصدار ذلك الفرمان اللعين في ذلك اليوم المشئوم 26 يونيو 1879، ذلك الفرمان الذي لا يستطيع أن يخرج حروفه القاسية من رأسه المسكين: إلى سمو إسماعيل باشا خديوي مصر السابق، إن الصعوبات الداخلية والخارجية التي وقعت أخيرًا في مصر قد

بلغت من خطورة الشأن حدًّا يؤدي استمراره إلى إثارة المشكلات والمخاطر لمصر والسلطنة العثمانية، ولما كان الباب العالي يرى أن توفير أسباب الراحة والطمأنينة للأهالي من أهم واجباته ومما يقضيه الفرمان الذي خوَّلكم حكم مصر، ولما تبيَّن أن بقاءكم في الحكم يزيد المصاعب الحالية، فقد أصدر جلالة السلطان إرادته بناء على قرار مجلس الوزراء بإسناد منصب الخديوية المصرية إلى صاحب السمو الأمير توفيق باشا، وأرسلت الإرادة السنية في تلغراف آخر إلى سموه بتنصيبه خديويًا لمصر، وعليه أدعو سموكم عند تسلمكم هذه الرسالة إلى التخلي عن حكم مصر احترامًا للفرمان السلطاني.

أغمض إسماعيل جفنيه وأسند رأسه إلى الجدار وأطلق زفرة ألم وهو لايزال لا يصدق تقلُّبات الزمن، وتحوُّلات الأيام!

الملك فاروق: المشهد نفسه يتكرر بعد سبعةٍ وسبعين عامًا، غير أنَّ الوداع كان يتسم بشيءٍ من الرسمية هذه المرة، ضباط الجيش بقيادة اللواء أركان حرب محمد نجيب يصطفون

لوداعه، لكنَّ هذا لا يغير من الأمر شيء، قُضِيَ الأمر بعد أن أجبروه على التخلي عن عرشه لابنه صاحب الستة أشهر!

صعد على متن السفينة تمامًا كجده، بخطى متثاقلة وقلبٍ مكلوم وعينين دامعتين، تخفي دموعهما العدسات السوداء التي اشتُهر بها.

كان اليخت متجهًا إلى إيطاليا أيضًا لكن فكره كان باقيًا في مصر، يتذكر إنذار اللواء محمد نجيب له:

إنه نظرًا لما لاقته البلاد في العهد الأخير من فوضى شاملة عمت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم، وعبثكم بالدستور، وامتهانكم لإرادة الشعب، حتى أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته، ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم في هذا المسلك، حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون في ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش والإسراف الماجن على حساب الشعب الجائع الفقير، ولقد تجلت آية ذلك في حرب فلسطين وما تبعها من

فضائح الأسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر، مما أفسد الحقائق وزعزع الثقة في العدالة وساعد الخونة على ترسم هذا الخطأ فأثرى من أثرى وفجر من فجر وكيف لا والناس على دين ملوكهم؛ لذلك قد فوضني الجيش الممثل لقوة الشعب أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولي عهدكم الأمير أحمد فؤاد على أن يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم السبت الموافق 26 يوليو 1952 والرابع من ذي القعدة سنة 1371هـ ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه.

والجيش يحمل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج.

فريق أركان حرب محمد نجيب.

الإسكندرية في يوم السبت 4 من ذي القعدة 1371 هـ، 26 يوليو سنة 1952 ميلادية.

ورغمًا عنه خرجت من شفتيه ابتسامة بائسة، وهو يتعجب كيف بهؤلاء يضعون على رأس مصر طفلًا رضيعًا، كان يعلم أنهم يخططون لشيءٍ ما، لكنه لم يكن يريد إدخال البلاد في صراعاتٍ أهلية فآثر الانسحاب في هدوء:

فاروق الأول، أمر ملكي رقم 65 لسنة 1952:

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان، لما كنا نتطلب الخير دائمًا لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها، ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة، ونزولًا على إرادة الشعب، قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه.

صدر بقصر رأس التين في 4 ذي القعدة 1371هـ، الموافق 26 يوليو 1952م.

خذوا الحكمة من أفواه المصريين

بتاح حتب: وهو أقدم حكيم عرفته البشرية، عاش في الأسرة الخامسة أواخر القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، وله كتاب شهير عن الأخلاق والسلوك الحسن، وتضم بردية بريسي المحفوظة في مكتبة فرنسا الوطنية سبعًا وثلاثين وصية من وصايا وتعاليم الحكيم المصري بتاح حتب، منها:

لا تكن مغرورًا على المعرفة، بل تكلم مع الجاهل والعاقل، أنت لا تصل أبدًا إلى الحد الأقصى للفن، وليس هناك فنان مثالي.

من يستمع يصبح سيد المكاسب.

لا تقمع الناس لأن الله يعاقب بالمساواة.(أي من جنس العمل).

عاقب وفق القواعد، وإذا علَّمت فليكن تعليمك ذو معنى.

الظلم موجود بوفرة، ولكن الشر لا يمكن أبدًا أن ينجح على المدى الطويل.

من يرشده الإله لا يضل، ومن يمنعهم (الإله) من المرور فلن يستطيعوا عبور نهر الحياة.

لقمان: إن كان بتاح حتب من أقدم الحكماء، فإنَّ لقمان هو أشهرهم على الإطلاق؛ ذلك لأن القرآن الكريم أكثر من ذكره، كما ذكر كثيرًا من وصاياه وحكمه، وقد كان لقمان مصريًّا؛ من أسوان، ومن حكمه المأثورة:

يا بني، ارجُ الله رجاءً لا تأمن فيه مكره، وخَف الله مخافة لا تيأس بها من رحمته.

يا بني، لا تأكل شبعًا على شبع، فإنك إن تلقه للكلب خيرٌ من أن تأكله.

يا بني، إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة.

يا بني، إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك.

يا بني، اختر المجالس على عينك، فإذا رأيت المجلس يُذكرُ الله عز وجل فيه فاجلس معهم، فإنك إن تك عالمًا ينفعك

علمك وإن تك عييًّا (جاهلًا) يعلموك، وإن يطلع الله عز وجل إليهم برحمة تصبك معهم.

يا بني، جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله ليحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.

يا بني، نقل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام من لا يفهم.

يا بني، اعتزل الشر كيما يعتزلك، فإن الشر للشر خلق.

العرش لا أحكام

بطليموس الرابع: كأي صاحب عرش، كان يرغب في تثبيت نفسه على عرشه، متخذًا أي سبيلٍ يصل به إلى غايته، فلمَّا شعر أن عمه ليزيماكوس يمثِّل تهديدًا له، قتله!

بعدها بدأ يُحس أن أخاه الصغير ماجاس يحتل مكانة كبيرة في قلوب رجال الجيش، فقتله!

لم يشعر بعدها بالأمان تجاه أمه برنيكي، خاصةً أنها هي من كانت تدعم أخيه الصغير وتفكِّر في الاستعانة بالجنود المرتزقة لمساعدته على اعتلاء عرش مصر، فقتلها!

العادل طومان باي: وهو غير الأشرف طومان باي الشهير، وكان العادل محبوبًا جدًّا بين الناس قبل أن يتسلطن، حتى إنه يروى أن النساء كن يزغردن في النوافذ والشبابيك كلما مرَّ في الطرقات، وكان في خدمة السلطان قايتباي الذي جعله في رتبة جمدار، وهو المسئول عن ملابس الملك، ثم أصبح في عهد السلطان جان بلاط مدبرًا للمملكة، بعد ذلك

تمرَّد نائب الشام قاصروه على جان بلاط، فانحاز العادل طومان باي إلى جانب قاصروه، وتم خلعه وتولية العادل طومان باي الحكم بدلًا منه.

لكنه بعدما اعتلى العرش تغيرت طباعه وأخلاقه، فكرهه الناس، وأول ما ظهر منه هو خنقه لجان بلاط السلطان السابق، فاستوحش منه الناس.

ثم بعد ذلك خشي على عرشه من ازدياد نفوذ الأتابك قاصروه الذي أعانه على خلع جان بلاط، فدعاه إلى القصر، وصلى معه العشاء، ثم أمر بخنقه، كما يروي ابن إياس في بدائع الزهور.

ولم تقع الجفوة بينه وبين العوام فقط، وإنما جافاه مماليكه الذين لم يحضروا معه صلاة الجمعة كما هو معتاد، ولم يلبوا دعوته، فعلم انقلابهم فترك العرش هاربًا ولم يكمل مائة يوم حاكمًا على مصر!

من أرشيف الشدائد

المجاعات:

لوحة المجاعة: هو حجر يرجع لعهد الملك زوسر من الأسرة الثالثة في عصر الدولة القديمة، وقد عُثر عليه في أسوان، وقد نُقش عليه قلق الملك وغضبه من انخفاض منسوب النيل الذي لم يفض لسبع سنوات، الأمر الذي تسبب في مجاعة في القطر المصري، ومما جاء في هذه اللوحة: قلبي كان في ضيق مؤلم، لأن النيل لم يفض لسبع سنوات، الحبوب لم تكن وفيرة، البذور جفت، كل شيء كان يملكه الفرد ليأكله كان بكميات مثيرة للشفقة، كل شخص حُرِم حصاده، لا يمكن لأي شخص أن يمشي أكثر؛ قلوب كبار السنّ كانت حزينة وسيقانهم انحنت متى جلسوا على الأرض، وأيديهم أُخفيت بعيدًا، حتى خدم المعابد كانوا يذهبون، المعابد أغلقت والملاجئ غطِّيت بالغبار. باختصار، كلُّ شيء في الوجود أصيب.

السبع العجاف: انتفض الملك من نومه مذعورًا، كانت الرؤيا التي أفزعته مخيفة حقًّا، بيد أنه لا يعرف لها تفسيرًا، لم يطب له النوم بعدها، أمر باستدعاء الكهنة وقص عليهم ما رأى؛ سبع بقراتٍ سمان يأكلهن سبعٌ عجاف، وسبع سنبلات خضر تلتف حولهن سبعٌ يابسات فتقضي عليهن، يقف الكهنة وقد انعقدت ألسنتهم عن التعبير، حتى قطع أحدهم الصمت قائلًا: لعلك أثقلت في الطعام يا مولاي، فأيَّده آخر: إنها أضغاث أحلامٍ يا مولاي، لكن الملك لم يرتضِ ذلك منهم، بل عدَّه عجزًا، فطلب الساقي الإذن بالكلام، وأخبر الملك أنه يعرف من يفسِّر تلك الرؤية، إنه يوسف الصديق المحبوس في أحد سجون مصر!

بمجرد أن سمع الرؤيا فسرها بسبع سنوات رخية يتبعهن سبع عجاف، ولم يكتفِ بالتفسير بل وضع خطة لتجاوز تلك المحنة الصعبة، التي لم تكن على مصر فقط بالمناسبة، فقد جاء إخوته وغيرهم من الشام ليستعينوا بزاد مصر، الذي حفظه

تـدبير يوسـف وحكمتـه، بعـدما أشـار بالاجتهـاد الزراعـة في السبع الأُوَل، وتخزين الحبوب في سنابلها في أهرام مدرجة حتى لا تفسدها الرطوبة، فإذا جاءت السبع العجاف أُخذ من هذا الاحتياطي الاستراتيجي بقَدَر، حتى يأتي عامٌ فيه يغاث الناس وفيه يعصرون.

الشـدة المستنصـرية: يـروي المقريـزي في خططـه عـن سـنة 461هـ: وفيهـا عظـم الغـلاء بمصـر واشـتد جـوع النـاس لقلـة الأقـوات في الأعمـال وكثـرة الفسـاد، وأكـل النـاس الجيفـة والميتـات، ووقفـوا في الطرقـات فقتلـوا مـن ظفـروا بـه؛ وبيعـت البيضـة مـن بـيض الـدجاج بعشـرة قـراريط، وبلغـت روايـة المـاء دينـارًا، وبيـع دار ثمنهـا تسـعمائة دينـار بتسـعين دينـارًا، وعـم مـع الغلاء وباء شديد، وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد، فانقطعـت الطرقـات بـرًّا وبحـرًا إلا بالخفـارة الكبـيرة مـع ركـوب الغَرَر[1]. وبيع رغيف من الخبز زنته رطل في زقاق القناديل كما

[1] - الغرر: الخطر.

تباع التحف والطرق في النداء: خراج! خراج! فبلغ أربعة عشر درهمًا، وبيع أردب قمح بثمانين دينارًا، ثم عُدم ذلك كله، وأُكلت الكلاب والقطط، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير، وبيعت حارة بمصر بطبق خبز، حسابًا عن كل دار رغيف، فعرفت تلك الحارة بعد ذلك بحارة طبق، وما زالت تعرف بذلك حتى دثرت فيما دثر من خطط مصر، وأكل الناس نحاتة النخل، ثم تزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضًا.

وكان بمصر طوائف من أهل الفساد قد سكنوا بيوتًا قصيرة السقوف قريبةً ممن يسعى في الطرقات، فأعدوا سلبًا وخطاطيف، فإذا مر بهم أحد شالوه في أقرب وقت، ثم ضربوه بالأخشاب وشرَّحوا لحمه وأكلوه، قال الشريف أبو عبد الله محمد الجواني في كتاب النقط: حدثني بعض نسائنا الصالحات قالت: كانت لنا من الجارات امرأة ترينا أفخاذها وفيها كالحفر، فتقول: أنا ممن خطفني أكلة الناس في الشدة، فأخذني إنسان، وكنت ذات جسم وسمن، فأدخلني بيتًا فيه

سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتيل، فأضجعني على وجهي وربط في يدي ورجلي سلبًا إلى أوتاد حديد، عريانةً، ثم شرَّح من أفخاذي وأنا أستغيث ولا أحد يجيبني، ثم أضرم الفحم وأسوى من لحمي وأكل أكلًا كثيرًا، ثم سكر حتى وقع على جنبيه لا يعرف أين هو، فأخذت في الحركة إلى أن تخلى أحد الأوتاد، وأعان الله على الخلاص، وخلصت، وحللت الرباط، وأخذت خروقًا من داره ولففت بها أفخاذي، وزحفت إلى باب الدار وخرجت أزحف إلى أن وقعت إلى الناس، فحُملت إلى بيتي، وعرَّفتهم بموضعه، فمضوا إلى الوالي فكبس عليه وضرب عنقه؛ وأقامت الدماء في أفخاذي سنةً إلى أن ختم الجرح، وبقي هكذا حفرًا!

وهلك في هذه الأعوام خَلْقٌ كثير، وبلغت المجاعة المستنصر وخاصته، إذ كان يركب وحده، وليس لخاصته دوابٌّ يركبونها، بل إنه كان يستعير بغلة صاحب ديوان الإنشاء، حتى إن أمه رصد وأسرته نزحوا إلى بغداد حتى لا يهلكوا من الجوع والفقر!

ولم ينجح المستنصر في الخروج من هذه الأزمة العاتية إلا بالاستعانة بقوة عسكرية كبيرة، فاستعان بالقائد بدر الدين الجمَّالي الذي بادر بالتخلص من قادة الفتنة ودعاة الثورة، وبدأ في إعادة النظام إلى القاهرة، والضرب على أيدي العابثين، حتى استقرت له الأمور، ونجح في فرض نفوذ الدولة المصرية من جديد.

وكذلك عمل على إنعاش اقتصاد الدولة، فشجَّع الفلاحين على الزراعة، بأن رفع عنهم الأعباء المالية، وأصلح لهم الجسور، وشق لهم الترع، فانتظمت الزراعة، وزادت الحبوب، وانخفض الغلاء، وعرف الأمن طريقه إلى شوارع مصر من جديد، فعادت حركة التجارة تنشط، وتحسنت أحوال الدولة كثيرًا.

مجاعة 1099هـ: يروي علي مبارك في الخطط التوفيقية: إنه في سنة 1099 انتشر الطاعون في مصر، والغلاء والعناء والفناء والظلم، وهجم الفلاحون وأولادهم على القاهرة وهم

يتضورون من الجوع، ويأكلون ما يتساقط من قشر البطيخ وورق الشجر.

وذكر الجبرتي جانبًا من ذلك في تاريخه، مرجعًا الأمر بالأصل إلى الفساد السياسي، وسوء الإدارة: وصار بيت المال من جملة المناصب التي يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه في كل شهر ولا يعارض فيما يفعل في الجزئيات وأما الكليات فيختص بها الأمير. فحلَّ بالناس مالا يوصف من أنواع البلاء إلا من تداركه الله برحمته أو اختلس شيئًا من حقه، فإن اشتهروا عليه عوقب على استخراجه. وفسدت النيات وتغيرت القلوب ونفرت الطباع وكثر الحسد والحقد في الناس لبعضهم البعض فيتتبع الشخص عورات أخيه ويدلي به إلى الظلم حتى خرب الإقليم، وانقطعت الطرق، وعربدت أولاد الحرام، وفقد الأمن، ومنعت السبل إلا بالخفارة وركوب الغرر، وجلت الفلاحون من بلادهم من الشراقي والظلم وانتشروا في المدينة بنسائهم وأولادهم يصيحون من الجوع،

ويأكلون ما يتساقط في الطرقات من قشور البطيخ وغيره، فلا يجد الزبال شيئا يكنسه من ذلك، واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال فإذا خرج حمار ميت تزاحموا عليه وقطعوه وأخذوه، ومنهم من يأكله نيئًا من شدة الجوع ومات الكثير من الفقراء بالجوع. هذا والغلاء مستمر والأسعار في الشدة، وعزَّ الدرهم والدينار من أيدى الناس، وقل التعامل إلا فيما يؤكل، وصار سمر الناس وحديثهم في المجالس ذكر المآكل والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير، ولولا لطف الله تعالى ومجيء الغلال من نواحي الشام والروم لهلكت أهل مصر من الجوع.

الأوبئة:

انتشرت الأوبئة في مصر كثيرًا، ومات بسببها خلقٌ كثير، لكننا نذكر أشهرها وأشدها على الناس.

طاعون 749هـ: بعد سنة واحدة من توليه الحكم، واجه السلطان حسن أعتى وباء مرَّ بالبلاد، على أن هذا الوباء عمَّ

أغلب أهل الأرض وليس مصر فقط، من شرقها إلى غربها، لكنه كان شديدًا جدًّا على مصر، يقول صاحب النجوم الزاهرة عن هذه السنة: ومع هذا كان فيها أيضا الوباء الذي لم يقع مثله في سالف الأعصار، فإنه كان ابتدأ بأرض مصر آخر أيام التخضير في فصل الخريف فى أثناء سنة ثمانٍ وأربعين، فما أهلَّ المحرَّم سنة تسع وأربعين حتى اشتهر واشتدَّ بديار مصر في شعبان ورمضان وشوَّال، وارتفع في نصف ذي القعدة، فكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف نفسٍ في كلِّ يوم، وعملت الناس التوابيت والدِّكك لتغسيل الموتى للسبيل بغير أجرة، وحمل أكثر الموتى على ألواح الخشب وعلى السلالم والأبواب، وحفرت الحفائر وألقيت فيها الموتى، فكانت الحفيرة يدفن فيها الثلاثون والأربعون وأكثر، وكان الموت بالطَّاعون، يبصق الإنسان دمًا ثمّ يصيح ويموت؛ ومع هذا عمّ الغلاء الدنيا جميعها، ولم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم، بل عمَّ أقاليم الأرض

شرقًا وغربًا وشمالًا وجنوبًا جميع أجناس بنى آدم وغيرهم، حتى حيتان البحر وطير السماء ووحش البرِّ.

طاعون 1843م: وقع في زمن محمد علي باشا، وقد وقعت حادثة عجيبة أثناء انتشار المرض، ترويها المستشرقة الإنجليزية صوفيا لين في كتابها حريم محمد علي باشا: ذهب بعض الأطباء الروس إلى المنصورة لدراسة الوباء، ولكي يكتشفوا إن كان معديًا أو غير معدٍ طلبوا من بعض الأفراد أن يلبسوا ملابس من أصيبوا وماتوا بالمرض، ومقابل ذلك دفعوا لكل منهم خمسة قروش لليوم الواحد، كان هذا أجرٌ لا يستهان به؛ إذ يعادل شلنًا في اليوم! وحيث أن فقراء هذا البلد يعتبرون أن نصف القرش في اليوم يكفي لسد حاجة الشخص الواحد، وأن هذا المبلغ الزهيد كافٍ لمعيشةٍ حسنة حسب رأيهم، لهذا يمكنك تصور انبهارهم بعرض الروس السخي، لولا وجود الخطر الذي يتعرضون له، ولكنَّ الخطر لم يخطر ببالهم، وتدفَّق الفقراء من كل أرجاء المدينة إلى الأطباء

يتوسلون إليهم أن يسمحوا لهم بلبس جلباب الطاعون، وألح رجلٌ مسن في طلبه قائلًا: أنا رجل عجوز فقير، ولي أسرة أعولها، وحياتكم لا تردوني، دعوني أرتدِ الجلباب!

الحرائق:

مكتبة الإسكندرية: في عام 48ق.م، استطاع بطليموس الثالث عشر بأسطوله المكون من اثنتين وسبعين سفينة حربية محاصرة أربعٍ وثلاثين سفينة تجارية صغيرة ليوليوس قيصر، الذي لم يأتِ إلى مصر مستعدًا لقتال، لكن الظروف دفعته دفعًا لخوض غمار هذه الحرب، فأشعل قيصر النيران في أسطول بطليموس الصغير فأتت النيران على الأسطول كله.

لكن النيران لم تتوقف عند الأسطول بل امتدت ألسنتها إلى مكتبة الإسكندرية التي كانت تضم حينها ذخائر العلم والمعرفة التي لم يُعرف لها مثيل.

ويتبنى بعض المؤرخين نظرية واهية مفادها أن هذا الحريق لم يقضِ على المكتبة تمامًا، وإنما ألحق بها أذى شديدًا، ثم إنها

تضررت مرة أخرى بسبب اعتداء الإمبراطور الروماني ثيودوسيوس الأول 391م، ثم يدَّعون أنها تدمرت تمامًا على يد عمرو بن العاص بأمر من عمر بن الخطاب بعد فتح مصر، وهذا محض افتراء، لم يكذبه علماء العرب والمسلمين وحدهم، بل كذَّبه مؤرخو الغرب، الذين قالوا إن هذا خرافة على حد تعبير جوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب، وقالوا إنها أسطورة على حد قول جاك ريسلر في كتابه الحضارة العربية.

حريق القاهرة: في السادس والعشرين من يناير 1952 وبداية من الساعة الثانية عشرة ظهرًا وحتى الحادية عشرة مساءً والنيران تلتهم ما يقابلها، فأتت النار في حوالي عشر ساعات على أكثر من 300 محل من بينها عمر أفندي وشيكوريل وفيردي، و13 فندقًا كبيرًا منها ميتروبوليتان وشبرد وفيكتوريا، و30 مكتبًا لشركات كبرى، و117 مكتب أعمال وشقة سكنية، و40 دارًا للسينما منها راديو وريفولي ومترو وديانا

وميامي، و73 مطعمًا منها جروبي والأمريكين، وغير ذلك من المنشآت والعقارات، وقد ذكر محمد نجيب في مذكراته أن القتلى كانوا 46 مصريًا، و9 أجانب، أمَّا عدد الجرحى والمصابين ففاق الستمائة.

ولم تتمكن السلطات من معرفة الفاعل، لكن الواضح أنها كانت مجموعات مدربة بمهارة شديدة.

أهم المصادر والمراجع

الكتاب: اتِّعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء.
المؤلف: المقريزي.

الكتاب: أحمد عرابي الزعيم المفترى عليه.
المؤلف: محمود الخفيف.

الكتاب: أسرار ثورة 23 يوليو.
المؤلف: جمال حماد.

الكتاب: إغاثة الأمة بكشف الغمة.
المؤلف: المقريزي.

الكتاب: الأعلام.
المؤلف: الزركلي.

الكتاب: الأوبئة والتاريخ.
المؤلف: شلدون واتس. ترجمة: أحمد محمود عبد الجواد.

الكتاب: البداية والنهاية.
المؤلف: ابن كثير.

الكتاب: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة.
المؤلف: الفيروزآبادي.

الكتاب: السلوك لمعرفة دول الملوك.
المؤلف: المقريزي.

الكتاب: العز بن عبد السلام.
المؤلف: محمد الرخيلي.

الكتاب: العهد المملوكي.
المؤلف: محمود شاكر.

الكتاب: العروش والجيوش.
المؤلف: محمد حسنين هيكل.

الكتاب: المختصر في أخبار البشر.
المؤلف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل.

الكتاب: المسالك والممالك.
المؤلف: البكري.

الكتاب: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي.
المؤلف: يوسف بن تغري بردي.

الكتاب: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.
المؤلف: المقريزي.

الكتاب: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة.
المؤلف: يوسف بن تغري بردي.

الكتاب: بدائع الزهور في وقائع الدهور.
المؤلف: ابن إياس.

الكتاب: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام.
المؤلف: شمس الدين الذهبي.

الكتاب: تاريخ الملك الظاهر.
المؤلف: عز الدين بن شداد.

الكتاب: تاريخ مصر القديم.
المؤلف: زكية يوسف طبوزادة.

الكتاب: تاريخ مصر الإسلامية.
المؤلف: جمال الدين الشيال.

الكتاب: تاريخ مصر في عصري البطالمة والرومان.
المؤلف: محمود إبراهيم السعدني.

الكتاب: تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل.
المؤلف: إلياس الأيوبي.

الكتاب: تاريخ هيرودوت.
المؤلف: هيرودوت. ترجمة: عبد الإله الملاح.

الكتاب: حريم محمد علي باشا.
المؤلف: صوفيا لين بول. ترجمة: عزة كرارة.

الكتاب: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة.
المؤلف: جلال الدين السيوطي.

الكتاب: حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور.
المؤلف: ابن تغري بردي.

الكتاب: ديوان المبتدأ والخبر.
المؤلف: ابن خلدون.

الكتاب: رجال اختلف فيهم الرأي.
المؤلف: أنور الجندي.

الكتاب: زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة.
المؤلف: بيبرس المنصوري الدوادار.

الكتاب: سنوات مع الملك فاروق.
المؤلف: حسين حسني.

الكتاب : سير أعلام النبلاء.
المؤلف : شمس الدين الذهبي.

الكتاب: شاهد على عصر الرئيس محمد نجيب.
المؤلف: رياض سامي.

الكتاب: صبح الأعشى في صناعة الإنشا.
المؤلف: القلقشندي.

الكتاب : صانعو التاريخ.
المؤلف : سمير شيخاني.

الكتاب: عصر سلاطين المماليك.
المؤلف: قاسم عبده قاسم.

الكتاب: عصر محمد علي.
المؤلف: عبد الرحمن الرافعي.

الكتاب: عقائد الجمان في تاريخ أهل الزمان.
المؤلف: بدر الدين العيني.

الكتاب: فاروق وسقوط الملكية في مصر.
المؤلف: لطيفة محمد سالم.

الكتاب: فجر الضمير.
المؤلف: جيمس هنري بريستيد. ترجمة سليم حسن.

الكتاب: قادة مصر الفرعونية، حتشبسوت.
الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الكتاب: قصة ثورة يوليو (خمسة أجزاء).
المؤلف: أحمد حمروش.

الكتاب: كانت ملكة على مصر.
المؤلف: ونفرد هولمز. ترجمة: سعد أحمد حسين.

الكتاب: كنت رئيسًا لمصر.
المؤلف: محمد نجيب.

الكتاب: كنز الدرر وجامع الغرر.
المؤلف: أبو بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري.

الكتاب: مذكرات الزعيم أحمد عرابي.
تحقيق: محمد فريد السيد حجاج.

الكتاب: مذكرات سعد زغلول (تسعة أجزاء).
تحقيق: عبد العظيم رمضان.

الكتاب: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان.
المؤلف: يوسف بن قِزْأُوغلي.

الكتاب: مصر الحديثة (مجلدان).
المؤلف: اللورد كرومر. ترجمة: صبري محمد حسن.

الكتاب: مصر الفرعونية.
المؤلف: أحمد فخري.

الكتاب: مصر القديمة.
المؤلف: جان فيركوتير. ترجمة: ماهر جويجاتي.

الكتاب: ملامح القاهرة في ألف سنة.
المؤلف: جمال الغيطاني.

الكتاب: من أول نظرة.
المؤلف: أنيس منصور.

الكتاب: من واحد لعشرة .
المؤلف: مصطفى أمين.

الكتاب: مماليك مصر والشام.
المؤلف: شفيق مهدي.

الكتاب: موسوعة مصر القديمة (ثمانية عشر جزءًا).
المؤلف: سليم حسن.

الكتاب: مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة.
المؤلف: يوسف بن تغري بردي.

الكتاب: ولاة مصر.
المؤلف: الكندي.

أخرى.

فهرس

مقدمة 5
مقدسة أم ملعونة 7
أسماء ملكية ظريفة 11
الموت على الطريقة الملكية 14
حاكمًا رغمًا عنه 17
مأدبة بنكهة الدم 19
وما أدراك ما الحب 22
مؤامرة الحريم 29
تزوير بأوامر رسمية 32
الملك الرياضي 36
أشقاء ولكن 37
أصدقاء اللورد 40
ندم حيث لا ينفع الندم 46
من منف إلى القاهرة 50
الحاكم بأمره 56
بيت مال الخليفة 60
عروس أفلست مصر 65
تحـــتـــمس الملهم 67
سياحة الآثار 70

القمر هدية لعبد الناصر 75
جواز سفر رمسيس الثاني 77
رمسيس بسبعة جنيهات 78
هل كانت مؤامرة 80
قناة كبريت 87
يا سلام سلِّـم الحيطة بتتكلم 93
عبيد بالعسل 95
رمضانيات 97
حتى أنت يا صديقي 100
ليس الخال والدًا دائمًا 103
تسقط الديموقراطية 104
حرية الضباط الأحرار 111
أبناء الرئيس 120
زفة الكسوة 124
سب الدين = براءة 126
نهايات غريبة 128
إدمان على القمار 131
من سجلات الضرائب 133
الإعلام الملكي 135
لم يحدث أبدًا 142
يخت المحروسة 147
خذوا الحكمة من أفواه المصريين 152

العرش لـه أحكام 155
من أرشيف الشدائد 157
أهم المصادر والمراجع 170

تمت

فإن هذه طائفةٌ يسيرة من الحكايات التي لا يربطها رابط، ولا يجمعها جامع، اللهم إلا أنها قد وقعت جميعًا فوق الأرض نفسها، وتحت السماء نفسها، لا يجمعها سوى أنها حكايات مصرية جدًا

لكنك أيها القارئ اللبيب، ذو الرأي الأريب، قد تتمكن من ربط بعض الخيوط الخفيَّة، وإيجاد بعض الروابط القوية، فهذه الحكايات إن أمعنت النظر فيها، استخلصت منها ما تخفيها، فهي إنما جُمعت للتفكُّر والتدبُّر، وشيءٍ من التفكُّه والتندُّر، مع مقارنة الماضي بالحاضر، ومطابقة الحالي بالغابر، وتمييز الخبيث من الطيب، ومعرفة ما غاب وما غُيِّب، فليس كلُّ مشهورٍ صحيحًا، وليس كلُّ مطمورٍ قبيحًا، فاظفر منها بالتعلُّم والنظر، والوقوف على الحادثة والخبر، واغتنم منها بعض العلوم والمعارف، والتقط شيئًا من المِلَح والطرائف، وانظر بعين الاعتبار والحذر، واستخلص منها المواعظ والعبر، فإنك لا تجد غدك إلا بمعرفة أمسك، فانظر، فإن وجدت خيرًا فخيرًا وإن شرًّا فأمسك، فإنما لهذا جُعِل التاريخ

العدد ١٤٤٦

الاسكندرية في ١٥ أكتوبر سنة ١٨٨٢

البشرى العظمى

ورد تلغراف رسمي من الباسل المُجلل وُلسلي ان السواري الانكليزية احتلت العاصمة مساء امس بعد قيادة نخل الملكة دون ادنى مقاومة وان المُجلل وُلسلي يدخلها اليوم مع الجيادة وورد تلغراف اخر الى سمو خديويها المعظم بوعد الاول وان الجيش الانكليزي قبض على

العاصي عرابي

فتم اذًا ما تعلقت آمال المُجلل المذكور وابتغاه في اهراماتنا من انهُ يحتل مصر في ١٥ سبتمبر

التهنئة

قبض على عرابي وطلبته وحبس مظهرو اخوانهم

ابتسم ثغر مصر وارتاح عطفها طربًا وتهللت القلوب فرحًا ربما اقبلت البشرى بانقضاء لازمة وفكّ المعضلة فتبادل العالم التهاني وعلى بحورهم سمات البشر والسرور ولسان الحال ينادي

بشراكِ يامصر بشراكِ فقد تلتِ المنى وبدخلت العساكر الانكليزية باسم الخضرة الخديوية عاصمة بلادك فاحتلتها وقبضت على عرابي وطلبه واخوانها واستلمت القلعة وقصر النيل وسواها من المراكز العسكرية ونسئ لحبو خديوك المعظم ان يتم فيك مقاصدهُ النبيلة الآيلة الى نجاحك ورقيك وانفتحت لابنائك ابواب العصر الجديد فادخلوها بسلام آمنين

ولزع بها الامير في محبوحة النصر والظفر واهنأ فان لك من المجد عضدًا وعونًا ومصر تناديك انت روح البلاد فبكَ حياتها اطال الله بقاءَ سموك وحفظ نجالك الكرام

العاصي عرابي

والذي خبث لا يعرج الا بكدّ

ابن المرابها الباغي وسيف العدل مسلول بادا فخم الان وباسمه في قصة جيش الانكليز الباسل ماذا تقول في احراقك الاسكندرية وتخريب البلاد ثم هربت بنيها ورملت نساءها وايتمت وكاثرت فالتاريخ يحفظ لك ايها القثيم اسم السوء. فقت طلبة الاجيال الموجعة وانت في عصر التمدن فعاست الامة المصرية بأسرها تطالب الان بثارها منك ومن اخوانك الطغاة والعدل لا يبقي عليك ولا يذر كيف لا والعساكر انتسبم مدرولة ملك وشخوتوسيرك وقد اخبر في بدلك معاين في موقعة الفل الكبير.